صوت الأمة

مَجَلة شَهرِيَّة اسْلاميَّة أَدبيَّة

تصدر عن دار التأليف والترجمة، بنارس

المجلد (٤٤)	ربيع الأول ١٤٣٣ هـ
العدد الثاني	فبراير ٢٠١٢ م

المشرف العام: عبد اللّه سعود بن عبد الوحيد

رئيس التحرير: أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

☆ عنوان المراسلة:	صوت الأمة بی ١ / ١٨ جی، ریوری تالاب، بنارس، الهند THE EDITOR B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi - 221010 (India)
☆ الاشتراک باسم:	دار التاليف والترجمة، ريورى تالاب، بنارس، الهند DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi - 221010 (India)
☆ الاشتراک السنوي:	في الهند (١٥٠) روبية، في الخارج (٤٠) دولار بالبريد الجوي، ثمن النسخة (١٥) روبية

☆ تليفون: ٢٤٥٢٢٤١ / ٢٤٥١٤٩٢ ـ ٥٤٢ ـ ٠٠٩١ فاكس: ٢٤٥٢٢٤٣ ـ ٥٤٢ ـ ٠٠٩١

المنشور لا يعبر إلا عن رأي كاتبه

محتويات العدد

الافتتاحية

الجحر الفالنتاني

أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

سبل إغواء الإنسان كثيرة، لا يحدها حد، ولا يأتي عليها الحصر، والمطلع على الأحوال والوقائع بهذا الخصوص يتعجب من كثرة هذه السبل وكذلك من أولئك الشياطين من الإنس والجن الذين فرغوا أنفسهم للتفكير والتخطيط والتنفيذ: تفكير في إكثار وسائل الإغواء وسبلها، وتخطيط لزيادة عدد الغاوين، وتنفيذ لمخططاتهم على أوسع نطاق. نعم، إنهم لا يسمونها غواية، ولا يصفونهم بالغاوين، بل يعدونها تنورا وتقدما، ويصفونهم بالمتنورين والمثقفين، ويظهرون أنفسهم بمظهر المصلحين والمنقذين.

إن ما يسمى بعيد الحب أو اليوم الفالنتيني ما هو إلا سلسلة من حلقات جهود ذلك "الاصلاح" و "الإنقاذ" ، يصادف هذا اليوم الرابع عشر من شهر فبراير، والذي ينتظره مجموعة من الشبان والشابات بفارغ الصبر في معظم دول العالم، ويعدونه فرصة سانحة لإبداء عواطف الشوق والحب والعشق للطرف الآخر، وقد يجاوزون جميع الحدود الأخلاقية والاجتماعية والعرفية.

ويلاحظ أن الإقبال على هذا اليوم أو العيد – كما يسمونه – يزداد عاما بعد عام من قبل الشبان والفتيات في دول العالم بما فيها الدول الإسلامية والأقليات المسلمة، وهذا ما يدعو الغيورين من المتدينين وذوي البصيرة من كل ديانة ومجتمع لإبداء قلقهم وتحفظهم نحو هذه الظاهرة لأبعادها الدينية والأخلاقية والثقافية والاقتصادية.

فمن الناحية الدينية يرون أن هذه مناسبة مسيحية دينية، ولا علاقة لها بالديانات الأخرى، لأن تاريخها يعود إلى ما يذكر من عدد من الأساطير، منها أن الامبراطور الروماني "كلاوديوس" لما وجد صعوبة في تجنيد جميع رجال روما للحرب، وتبين له أن سبب عدم التجنيد هو عدم رغبة الرجال المتزوجين في الخروج وترك أهاليهم، ما كان منه إلا أن منع الزواج وضيقه، فجاء القس المدعو "فالنتاين" ليخالف أمر الإمبراطور، فكان يزوج الناس في الكنيسة سرا، فاعتقله الامبراطور وقتله في ١٤/فبراير عام ٢٦٩م.

ومن هذه الأساطير أيضا أنه ومنذ (١٧٠٠) سنة عند ما كانت الوثنية هي السائدة عند الرومان قام أحد قديسيهم وهو المدعو "فالنتاين" بالتحول عن الوثنية إلى النصرانية، فما كان من دولة الرومان إلا أن أعدمته، ولما دار الزمان واعتنق الرومان النصرانية جعلوا يوم إعدامه مناسبة للاحتفال بذلك تخليدا لذكراه. إلى غير ذلك من القصص والأساطير. وكلها توحي بكون هذه المناسبة دينية محضة تخص النصرانيين.

ويقال إن الكنيسة تراجعت في عام ١٩٦٩م عن عيد فالنتاين وتركت الاحتفال به رسميا، معللة بأن تلك الاحتفالات تعتبر خرافات لا تليق بالدين والأخلاق، ومع ذلك استمر الناس في الاحتفال به في أمريكا وأوربا، وتم تصديره إلى الدول الشرقية.

فإذا كان تاريخ هذه المناسبة يرجع إلى أمر ديني وعقدي فكيف يسوغ للشبان والفتيات من الديانات الأخرى الاحتفال بها، أليس ذلك على حساب دينهم وعقيدتهم وحضارتهم وتاريخهم، ألا يدل هذا على ضعف هويتهم وقلة مبالاتهم بما ينتمون إليه من الدين. وأقل ما في الأمر أن هذا الاقبال والاحتفال يدل على جهلهم عن البعد الديني لهذه المناسبة وضعف الانتماء إلى عقيدتهم وديانتهم.

وإذا ذهبنا نبحث عن الآثار والأبعاد الأخلاقية —بعد البعد الديني— لهذه الظاهرة فإننا نجد أنفسنا مضطرين للتصديق بالنظرة القائلة بأن من أسباب ترويج هذه الظاهرة في الشرق تغرير الجنسين وفتح باب الميوعة والانحلال بمصراعيه أمامهم، وتسهيل ممارسة الرذيلة والفحشاء، فهذه المناسبة استغلت كوسيلة من الوسائل الكثيرة لنشر الإباحية والفساد الخلقي في شبان وفتيات العالم حتى لا تبقى لهم أي صلة بالمبادئ والأخلاق والتفكير الجدي للدين والوطن والنهضة والتقدم، فعند ذلك يسهل القبض عليهم وعلى أوطانهم وخيرات بلادهم.

إن ما يحدث في هذا اليوم وليلته في الفنادق والمنتزهات ليس بوسع القلم سرد تفاصيله المخجلة ووقائعه المؤسفة، خاصة في هذه البلاد الشرقية التي كانت قد حافظت إلى حد كبير على كيانها وأخلاقها وشرفها وسموها. ولكنها لظروف وضغوط عجزت عن الصمود وقعدت عن مواجهة طوفان العولمة، والذي يراد من ورائه تعميم النموذج الغربي في شتى مناحي الحياة. ومع هذا كله فإن هذا النموذج الشاذ لم يلق قبولا عاما وإقبالا كاملا في هذه المجتمعات المحافظة، وإلا لما نرى هؤلاء المخدوعين الساقطين في حبائل "الحب

والهيام" يخرجون في يومهم هذا على خوف ووجل، وتطاردهم الأنظار التي لا زالت على الحياء والفطرة، بل وتراقبهم الجهات الأمنية في كثير من البلدان، وتحول بينهم وبين تحقيق مقاصدهم الخبيثة ونواياهم السيئة.

وبهذه المناسبة يجدر بي أن أذكر أن جماعات وأحزاب هندوسية في الهند تنشط أعضاءها كل عام في هذه المناسبة لمنع كل الفعاليات المتعلقة بها حتى ولو احتاج ذلك إلى استعمال القوة والعنف. فلا يظن ظان أن هذا الأمر يخص المسلمين أو المتدينين من المسلمين، وأنهم هم الذين يبدون مخاوفهم نحو هذا الأمر ويقومون في وجهه، فهذا غير صحيح، والصحيح أن هذا الموضوع موضوع قلق وتفكير كل ذي عقل سليم وفطرة سليمة، حتى ولو كان من منتمي الديانة النصرانية، ناهيك عن الديانات الأخرى.

أما من الناحية الثقافية فيرى الغيورون من الشرقيين أن هذه المناسبة إنما هي نموذج غربي للثقافة تم تصديرها إلى الشرق في محاولة لفرض الثقافة الغربية على بقية الأمم والشعوب تحت ستار العولمة التي يراد بها نشر تلك الثقافة الغربية على الآخرين بواسطة هذا العنوان المكذوب. وهنا نرى أن المنبهرين ببريق الحضارة الغربية من بني جلدتنا والذين يعدون تقليد الغرب في شتى مناحي الحياة مفخرة واعتزازا لهم لا يرون في احتفال شبابنا بهذا اليوم أية علامة استفهام وأية حاجة للقلق، وإنما يعتبرونه نوع رقي وتقدم لابد منه للحوق بركب الحضارة الغربية التي هي حضارة نموذجية كما يرون.

والأبعاد الاقتصادية لهذه الاحتفالات هي الأخرى تلفت أنظار الناقدين والمعترضين، فإن هذه الاحتفالات المكلفة في دولة كالهند التي يعيش عدد كبير من سكانها تحت خط الفقر، ويعاني من المرض والجهل وسوء التغذية وغيره من أنواع البؤس والشقاء غير مناسبة من الناحية الاجتماعية أيضا. فهذه الهدايا الثمينة من الزهور والورود والبطاقات، وهذه الوجبات الشهية في الفنادق الراقية مع الغناء والموسيقي والرقص، وتنقلات "الأحبة" في السيارات الفارهة، وملابسهم الخاصة لهذه المناسبة، كل ذلك يكلف مصاريف كبيرة ولاشك.

ويرى المحللون أن التجار أيضا وراء إشهار هذه المناسبة، فإنهم وجدوا فيها فرصة كبيرة لترويج البضائع والحصول على مكاسب مادية. ولو كان لابن آدم واديان من ذهب

لا ابتغى ثالثا، ونحن نعيش في عصر المنافسة، والتكالب على الدنيا وزهرتها، فكثير من أرباب التجارة لا هم لهم إلا جمع المال، فهؤلاء لا يجدون فرصة إلا واغتنموها، بل ابتكروا الحيل للوصول إلى جيوب المستهلكين، فمثل هؤلاء ينشطون لتذكير زبائنهم وعملائهم بالمناسبة، وإغرائهم للاستعداد لها والاحتفال بها بمختلف الوسائل والطرق والأساليب، أهمها وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة التي تحولت من وسائل إعلامية هادفة بناءة إلى وسائل لجمع الأموال. فوسائل الإعلام هذه تتناول هذه المناسبة – وللأسف – بالعناية والاهتمام البالغين، وتخصص وقتا ومساحة أكثر من حقها بكثير، وتلقي الأضواء عليها بجوانب وأساليب متنوعة، حتى يقتنع المتلقي بصرف العناية لهذه المناسبة وإحلالها محل اهتمامه.

وبعد: إن الانتشار المتزايد لهذه المناسبة سنة بعد سنة في دولنا ومدننا وإن كان موضع قلق واضطراب جميع الملل والديانات الشرقية، ولكن نحن المسلمين أصحاب الرسالة الإلهية الموسومين بـ"خير أمة أخرجت للناس" و"شهداء على الناس" مسؤوليتنا تجاه هذا الأمر أكثر وأكبر، والدين السماوي الخالد الذي ندين به يمنعنا أن نقف مكتوفي الأيدي أمام هذا الوضع أو أن نتفرج عليه، أو نكتفي بإبداء عدم الرضا به وإلقاء اللوم على المصدّرين أو المحتفلين. فهل كل ذلك يقف دون انتشار هذه الظاهرة في مجتمعاتنا، أو تكون النتيجة بالعكس كما هو واقع ومشاهد. يجب على كل ولي أمر وعلى كل عالم وداعية وإعلامي وتاجر ومعلم أن يشعر بمسؤوليته تجاه هذا الأمر، ويقوم بدوره المنشود، قبل أن تغرق السفينة ويغرق الجميع، والعياذ بالله.

فـ"مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا". (صحيح البخاري)

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

***

الفقه الإسلامي

هل الحدود كفارات

الشيخ أبو الحسن عبيد الله الرحماني المباركفوري رحمه الله

عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وحوله عصابة من أصحابه: بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله عليه فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه، فبايعناه على ذلك. (متفق عليه)

قوله (عن عبادة) بضم العين وتخفيف الموحدة (بن الصامت) بن قيس الأنصاري الخزرجي المدني، يكنى أبا الوليد، شهد العقبتين وبدرا والمشاهد كلها، وهو أحد النقباء، ثم وجهه عمر إلى الشام قاضيا ومعلما فأقام بحمص ثم انتقل إلى فلسطين ومات بها في الرملة، وقيل ببيت المقدس سنة ٣٤ وهو ابن ٧٢ سنة، وقيل عاش إلى خلافة معاوية وهو أحد من جمع القرآن في زمن النبي ﷺ، ورواه البخاري في تاريخه الصغير وابن سعد عن محمد بن كعب القرظي، وكان طويلا جسيما جميلا فاضلا. قال سعيد بن عفير: كان طوله عشرة أشبار. له مائة وأحد وثمانون حديثا. اتفقا منها على ستة، وانفرد البخاري بحديثين، وكذا مسلم. روى عنه جماعة من الصحابة والتابعين.

(وحوله) نصب على الظرفية خبر لقوله (عصابة) بالكسر اسم جمع كالعصبة لما بين العشرة إلى الأربعين من العصب وهو الشد، كأن بعضهم يشد بعضا. والجملة حالية (من أصحابه) في محل الرفع لأنه صفة لعصابة، أي عصابة كائنة من أصحابه. وكلمة "من" للتبعيض، ويجوز أن تكون للبيان (بايعوني) أي عاقدوني. سميت المعاهدة على الإسلام بالمبايعة تشبيها لنيل الثواب في مقابلة الطاعة بعقد البيع الذي هو مقابلة مال. ووجه المفاعلة أن كلا من المتبايعين يصير كأنه باع ما عنده من صاحبه وأعطاه خالصة نفسه وطاعته كما في قوله تعالى: {إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة - ٩: ١١١) (لا تشركوا بالله

شيئا) مفعول به أو مفعول مطلق (ولا تسرقوا) من سرق بالفتح يسرق بالكسر سرقا وهو أخذ مال الغير محرزا بخفية.

(ولا تقتلوا أولادكم) خص القتل بالأولاد لأنه قتل وقطيعة رحم، فالعناية بالنهي عنه آكد ولأنه كان شائعا فيهم وهو وأد البنات خوف لحوق عيب وعار وقتل البنين خشية إملاق وإقتار، أو خصهم بالذكر لأنهم بصدد أن لا يدفعوا عن أنفسهم.

(ولا تأتوا ببهتان) الباء للتعدية، والبهتان بالضم الكذب يبهت سامعه أي يدهشه لفظاعته (تفترونه) أي تخلقونه، صفة بهتان (بين أيديكم وأرجلكم) أصل هذا كان في بيعة النساء وكنى بذلک عن نسبة المرأة الولد الذي تزني به أو تلتقطه إلى زوجها كذبا لأن بطنها الذي يحمله بين يديها وفرجها الذي تلد منه بين رجليها، ثم لما استعمل هذا اللفظ في بيعة الرجال احتيج إلى حمله على غير ما ورد فيه أولا فقيل معناه: لا تأتوا ببهتان من قبل أنفسكم ومن عند ذواتكم، فاليد والرجل كنايتان عن الذات لأن معظم الأفعال يقع بهما، وقد يعاقب الرجل بجناية قولية فيقال له: هذا بما كسبت يداک. أو معناه لا تنسبوه مبنيا على ظن فاسد وغش مبطن من ضمائركم وقلوبكم التي بين أيديكم وأرجلكم، فالأول كناية عن إلقاء البهتان من تلقاء أنفسهم، والثاني عن إنشاء البهتان من دخيلة قلوبهم مبنيا على الغش المبطن. وقيل معناه: لا تبهتوا الناس بالعيوب كفاحا مواجهة، كما يقال: فعلت هذا بين يديک أي بحضرتک، وأراد ههنا الأيدي وذكر الأرجل تاكيدا له.

(ولا تعصوا) بضم الصاد وفي رواية للبخاري، ولا تعصوني وهو مطابق للآية (في معروف) قال في النهاية: هو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله تعالى والإحسان إلى الناس، وكل ما ندب إليه الشرع ونهى عنه من المحسنات والمقبحات - انتهى. ونبه بذلک على أن طاعة المخلوق إنما تجب فيما كان غير معصية لله فهي جديرة بغاية التوقي في معصية الله (فمن وفى) أي ثبت على ما بايع عليه بتخفيف الفاء وتشديدها وهما بمعنى (فأجره على الله) قال الحافظ: أطلق هذا على سبيل التفخيم لأنه لما ذكر المبايعة المقتضية لوجود العوضين أثبت ذكر الأجر في موضع أحدهما، وأفصح في رواية الصنابحي عن عبادة في هذا الحديث في الصحيحين بتعيين العوض فقال بالجنة، وعبر هنا بلفظ على للمبالغة في تحقيق وقوعه

كالواجبات، فإن قيل: لم اقتصر على المنهيات ولم يذكر المأمورات، فالجواب أنه لم يحملها، بل ذكرها على طريق الإجمال في قوله: ولا تعصوا، إذ العصيان مخالفة الأمر، والحكمة في التنصيص على كثير من المنهيات دون المأمورات أن الكف أيسر من إنشاء الفعل لأن اجتناب المفاسد مقدم على اجتلاب المصالح والتخلي عن الرذائل قبل التحلي بالفضائل وترك سائر المنهيات لزيادة الاهتمام بالمذكورات، وفيه رد على المرجئة الذين يقولون بأن التصديق وحده كاف للنجاة وإنه لا تضر المعصية مع الإيمان (ومن أصاب من ذلك) أي من المذكور (فعوقب به) هو أعم من أن تكون العقوبة حدا أو تعزيرا، واختلفوا في أنه يعم العقوبات الشرعية ويشمل العقوبات القدرية كالمصائب والآلام والأسقام وغيرها أم لا، فقيل نعم كما في الحديث لا يصيب المسلم نصب ولا هم ولا حزن حتى الشوكة يشاكها الرجل إلا كفر الله بها من خطاياه. وقيل لا، لحديث خزيمة بن ثابت عند أحمد في مسنده (ج ٥: ص ٢١٤، ٢١٥) بإسناد حسن: من أصاب ذنبا أقيم عليه حد ذلك الذنب فهو كفارته. فإنه صريح في أن المراد عن العقوبة المذكورة في الحديث الحدود دون المصائب وقال الحافظ: يحتمل أن يراد أن المصائب تكفر ما لا حد فيه (فهو) العقاب، وهذا مثل هو في قوله تعالى: {اعدلوا هو أقرب للتقوى - ٥: ٨} (كفارة له) زاد في رواية للبخاري: وطهور، بفتح الطاء أي يكفر إثم ذلك ولم يعاقب به في الآخرة قال النووي: عموم هذا الحديث مخصوص بقوله تعالى: {إن الله لا يغفر أن يشرك به - ٤: ٤٨} فالمرتد إذا قتل على الردة لا يكون القتل له كفارة - انتهى.

ويستفاد من الحديث أن إقامة الحد كفارة للذنب ولو لم يتب المحدود، وهو قول الجمهور. وقيل لا بد من التوبة، وبذلك جزم بعض التابعين، وهو قول للمعتزلة، ووافقهم ابن حزم، ومن المفسرين البغوي وطائفة يسيرة - انتهى. قلت: الأول قول مجاهد وزيد بن أسلم والثوري والإمام أحمد، ورجحه ابن جرير، وضعف القول بخلاف ذلك ووهنه جدا. قال الحافظ في الفتح: واستدل البغوي ومن وافقه باستثناء من تاب في قوله تعالى: إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم، ٥: ٣٤، قال: والجواب في ذلك أنه في عقوبة الدنيا ولذلك قيدت بالقدرة عليه. انتهى (ثم ستره الله) أي ذلك الشيء المصاب (فهو إلى الله) أي أمره وحكمه من العفو والعقاب مفوض إليه فلا يجب عليه عقاب عاص كما لا يجب عليه ثواب مطيع على

المذهب الحق . وفيه رد على الخوارج الذين يكفرون بالذنوب، ورد على المعتزلة الذين يوجبون تعذيب الفاسق إذا مات بلا توبة لأن النبي ﷺ أخبر بأنه تحت المشيئة، ولم يقل لا بد أن يعذبه (إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه) يشمل من تاب من ذلك ومن لم يتب، وقال بذلك طائفة، وذهب الجمهور إلى أن من تاب لا يبقى عليه مؤاخذة ومع ذلك فلا يأمن مكر الله، لأنه لا إطلاع له هل قبلت توبته أو لا . وقيل يفرق بين ما يجب فيه الحد وما لا يجب، كذا في الفتح.

واعلم أنه ذهب أكثر العلماء ومنهم الشافعية إلى أن الحدود كفارات وسواتر، واستدلوا بحديث عبادة هذا، وهو صريح في ذلك، ويؤيده ما رواه غير واحد من الصحابة منهم علي بن أبي طالب أخرج حديثه أحمد والترمذي في الإيمان وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه، ومنهم أبو تميمة الجهيمي، أخرج حديثه الطبراني بإسناد حسن، ومنهم خزيمة بن ثابت، أخرج حديثه أحمد، وقد تقدم لفظه، ومنهم ابن عمر، وأخرج حديثه الطبراني مرفوعا.

واختلفت الحنفية فيه فقال أبو الحسن الطالقاني الحنفي كما في طبقات الشافعية وأبو بكر الكاساني صاحب البدائع: إن الحدود كفارات. وصرح صاحب الدر المختار بأنها ليست بكفارة بل هي روادع وزواجر فقط، واستدل له بقوله تعالى: {ذلك لهم خزى في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم - ٥:٣٣} في آية المحاربة فإنه يدل على أنهم يعذبون في الآخرة بعد إقامة الحد عليهم في الدنيا فلم يكن الحد كفارة لهم، وأجيب بأن الآية نزلت في العرنيين ومعلوم أنهم كانوا ارتدوا بعد إسلامهم وحينئذ فالآية خارجة عن موضع النزاع لأن المسئلة إنما كانت في المسلمين لأن التكفير في حق المشركين لم يقل به أحد، والآية وإن لم تأخذ الكفر والارتداد في العنوان بل أدارت الحكم على وصف قطع الطريق وهو يقتضي أن يدور الحكم على هذا الوصف سواء كان من المسلم أو المرتد أو الكافر أو الذمي، ولا يقتصر على المرتد والكافر فقط، لكن يمكن أن يقال إنه جرى ذكر العذاب في الآخرة في الآية لحال الفاعلين أي لحال كفرهم لا لحال الفعل، فإن المعصية الواحدة تختلف شدة وضعفا باعتبار حال الفاعلين، فقد تكون المعصية من المؤمن ويخف العذاب عليها رعاية لإيمانه، وقد تكون تلك المعصية بعينها من الكافر، ويزاد في عقوبته لحال كفره، فقطع الطريق من المسلمين شنيع، وهو من المرتدين أشنع. وعلى هذا فلا دليل في الآية على أن المسلم لو فعل ذلك ثم أقيم

عليه الحد كان له عذاب في الآخرة أيضا لأنه ليس جزاء للفعل على هذا التقدير بل الشناعة في الجزاء بشناعة الفاعلين، كذا قرره الشيخ محمد أنور الحنفي. ويمكن أن يقال: إنه يحتمل أن يكون حديث عبادة مخصصا لعموم الآية أو مبينا أو مفسرا لها. واستدل له أيضا بقوله تعالى: {فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه، إن الله غفور رحيم - ٣٩:٥} في آية حد السرقة. قيل هو دليل صريح على أن إقامة الحد لا تكون كفارة إلا بعد التوبة من ظلمه، وإصلاح عمله، وأجيب عنه بأنه لا دليل في الآية على ذلك لأن ظاهر معنى الآية أن من تاب من بعد ظلمه، أي سرقته يعني حسن حاله في المستقبل وأصلح عمله وعزم على ترك العود إلى مثل ذلك فيقبل الله توبته ويرحمه ويطهره من جميع الذنوب، وأما ذنب هذه السرقة فقد زال بنفس إقامة حد السرقة، ولم يتوقف على التوبة، وبالجملة الآية إنما تتعلق بالتوبة والإصلاح فى الاستقبال لا بما تقدم من ذنب السرقة، وقيل معنى الآية: فمن تاب أي من السرقة وأصلح أمره فإن الله يتوب عليه، أي يغفر له ويتجاوز عنه ويقبل توبته أي يسقط عنه حق الله، وأما حق الآدميين من القطع ورد المال فلا يسقط، نعم إن عفا قبل الرفع إلى الإمام سقط القطع، كما ذهب إليه الشافعي.

واستدل له أيضا بقوله تعالى: {فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا واولئك هم الفاسقون. إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم - ٢٤:٤-٥} في آية حد القذف. قيل هو أقوى دليل على أن إقامة الحد لا تطهر القاذف من الذنب ولا تخرجه من الفسق إلا بعد التوبة وإنما وعد الله المغفرة والرحمة لمن تاب بعد ذلك وأصلح عمله، وأجيب عنه بأن حد القذف ليس هو الجلد فقط بل هو مجموع أمرين أو ثلاثة أمور: الجلد، وعدم قبول الشهادة، والحكم بكونه فاسقا، لكن بينها فرق وهو أن الجلد لا يرتفع بالتوبة فإنه يجلد التائب كالمصر بالإجماع، وأما عدم قبول الشهادة والحكم بالفسق فيزولان بالتوبة بناء على أن الاستثناء يتعلق بالجملتين، وهذا عند الأئمة الثلاثة، خلافا لأبي حنيفة فإنه ذهب إلى أنه لا يقبل شهادة القاذف أبدا، أي ما دام حيا وإن تاب، وهذا لأن الاستثناء عنده يرجع إلى الجملة الأخيرة فقط، فلا يزول عنده بالتوبة إلا اسم الفسق، وأما عدم قبول الشهادة فيبقى على حاله بعد التوبة وإصلاح العمل أيضا كالجلد، ففرق أبو حنيفة بين القذف وسائر الكبائر مثل الزنا

والسرقة وشرب الخمر والميسر، فقال بقبول الشهادة من التائبين من هذه المعاصي بعد إقامة الحدود عليهم، كالأئمة الثلاثة، وخالفهم في التائب من ذنب القذف فلم يقبل شهادته أبدا، وإذا كان عدم قبول الشهادة داخلا في حد القذف وجزأ منه خلافا لسائر الحدود، حتى إنه لا يقبل شهادته بعد التوبة أيضا عند أبي حنيفة، ظهر منه أن حكم حد القذف مخالف لحكم سائر الحدود فلا يتطهر القاذف من ذنب القذف إلا بالتوبة كما نص على ذلك الآية بخلاف سائر الحدود، فإنها تكون كفارة ومطهرة بنفسها من غير احتياج إلى التوبة بعد إقامة الحد.

واستدل له أيضا بما سيأتي في باب الشفاعة في الحدود من حديث أبي أمية المخزومي أن النبي ﷺ وسلم أتى بلص قد اعترف اعترافا، الحديث. وفيه: فأمر به فقطع فجئ به فقال له رسول الله ﷺ: استغفر الله وتب إليه، فقال: أستغفر الله وأتوب إليه، فقال رسول الله ﷺ: اللهم تب عليه. أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه. قالوا لو كان الحد كفارة لما احتاج إلى الاستغفار بعد القطع مع أن النبي ﷺ أمره بالاستغفار، فعلم أن الحدود أصلها للزجر لا للستر والتكفير، وأجيب عنه بأن معنى قوله تب أي في الاستقبال بأن لا تفعله ثانيا، فيخرج الحديث عما نحن فيه ولا يتم الاستدلال. وقال السندي في حاشية النسائي: قوله استغفر الله (أي في حديث أبي أمية المذكور) لعل المراد الاستغفار والتوبة من سائر الذنوب أو لعله قال ذلك ليعزم إلى عدم العود إلى مثله، فلا دليل لمن قال الحدود ليست كفارات لأهلها مع ثبوت كونها كفارات بالأحاديث الصحاح التى كادت تبلغ حد التواتر، كيف والاستغفار مما أمر به النبي ﷺ فقال استغفر لذنبك، وقد قال الله تعالى: {لقد تاب الله على النبى -٩:١١٧} لمعان ومصالح ذكروا في محله، فمثله لا يصلح دليلا على بقاء ذنب السرقة، والله تعالى أعلم - انتهى.

وقال القاري: هذا منه ﷺ يدل على أن الحد ليس مطهرا بالكلية مع فساد الطوية، وإنما هو مطهر لعين ذلك الذنب، فلا عقاب عليه ثانيا من جهة الرب — انتهى. وتوقف بعض العلماء في كون الحدود كفارات ولم يقضوا في ذلك بشيء لحديث أبي هريرة أن النبي

ﷺ قال: لا أدري الحدود كفارات لأهلها أم لا، أخرجه الحاكم في المستدرك، وقال: صحيح على شرط الشيخين، وأخرجه البزار وأحمد أيضا، واختلف في وصله وإرساله. وأجيب عنه بأن حديث عبادة أصح وصحته متفق عليها، بخلاف حديث أبي هريرة على ما نص عليه القاضي عياض وغيره، فلا تعارض لكون حديث عبادة واجب التقديم فلا وجه للتوقف في كون الحدود كفارة، ولو سلم التساوي والمعارضة جمع بينهما بأنه يمكن أن يكون حديث أبي هريرة ورد أولا قبل أن يعلمه الله ثم أعلمه بعد ذلك.

قال القاضي: فإن قيل: حديث عبادة هذا كان بمكة ليلة العقبة لما بايع الأنصار رسول الله ﷺ البيعة الأولى بمنى، وأبو هريرة إنما أسلم بعد ذلك بسبع سنين عام خيبر، فكيف يكون حديثه متقدما؟ قيل يمكن أن يكون أبو هريرة ما سمعه من النبي ﷺ، وإنما سمعه من صحابي آخر كان سمعه من النبي ﷺ قديما، ولم يسمع من النبي ﷺ بعد ذلك أن الحدود كفارة كما سمعه عبادة. انتهى.

وقال الحافظ: الحق عندي أن حديث أبى هريرة صحيح، وهو سابق على حديث عبادة، والمبايعة المذكورة في حديث عبادة على الصفة المذكورة لم تقع ليلة العقبة، ثم ذكر نص بيعة ليلة العقبة من مغازي ابن إسحق وغيره، وقال بعد سرد الروايات من صحيحي البخاري ومسلم والنسائي والطبراني: فهذه أدلة ظاهرة في أن هذه البيعة صدرت بعد نزول آية الممتحنة، بل بعد صدور بيعة النساء، بل بعد فتح مكة، وذلك بعد إسلام أبي هريرة - انتهى. هذا، وقد أطال الحافظ البحث ههنا، وتعقبه العيني فارجع إلى الفتح والعمدة وتأمل فى تعقبات العيني (متفق عليه) وأخرجه أيضا أحمد والترمذي والنسائي وغيرهم.

(مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ١/٧٥-٨٠)

***

عبر ومواعظ

جند الله الخفيّة

معالي الشيخ الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة البحوث الإسلامية بالرياض

أخذت حياة الإنسان في تنظيمها ودقة أعمالها تتغير مع علم الله الذي علمه للإنسان، كما أخذ المخترعون أساسيات اختراعاتهم مما كون الله جل وعلا، وما أودع في الإنسان في جسده وأجساد الكائنات الحية من عجائب وغرائب، وفي قمتها الإنسان الذي يذكّره خالقه ببعض النعم عليه، وأنه في حياته ينعم بحفظ الله وعنايته.

ألم يقل سبحانه في معرض التنبيه للإنسان، وتذكيره ببعض نعمه عليه، ليتحرك الإيمان في أعطافه، ولا يتعالى على خالقه بعصيانه، والتمرد على شرائعه التي خلق من أجلها، وتقوده كلها إلى العبادة الخالصة له جل وعلا، والعرفان بأعظم النعم عليه، ألم يقل سبحانه في سورة الانفطار، في خطاب تكريمي للإنسان، الذي فضله خالقه على كثير مما خلق {يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك} (الآيات ٦-٨).

وإذا كانت النواحي الأمنية، التي تحرص عليها أمم الأرض تدفع في أمنها تهيئة وتدريبا، وتعليما مع التوعية والاستعداد والأموال، ويزداد الأمر تعقيدا وتكثيفا عندما يكون هناك صراع بشري أيا كان حجمه ونوعه، بالتهيئة وبذل الجهد الكبير، والاستعداد بكل الإمكانات عقليا وماليا وجهدا بشريا برغبة الغلبة والانتصار.

لكن هل فكر الإنسان لأخذ العبرة، مما أودع الله في جسمه من أمور لأن أسرار الحياة، وما يدور في المجتمعات تؤخذ عبرتها مما أودع الله في الجسم البشري.

وفي النواحي الأمنية، والصراعات بين البشر فإنهم يحتاجون إلى تفكير وإعداد خطط، واجتماعات وتنظيم، وخاصة في الأمور الخفية، بالرجال والسلاح والأجهزة والعتاد، الذي لا يظهر إلا عندما تتأزم الأمور.

في هذه النظرة: علينا أن نأخذ العبرة من جسم الإنسان، الذي أوجده الله وحفظه في {في أي صورة ما شاء ركبك}.

لنقول: إن الله العليم الحكيم، قد حمى هذا الجسم البشري ومثله سائر المخلوقات كل بحسبه ومهمته من الآفات، ودافع عنه سبحانه بقدرته وتدبيره الشرور، وعلم تلك الجنود المنبثة في الجسد، حيث يقول سبحانه للشيء كن فيكون، وهذا ما لا يدركه غالبية الناس، إلا الراسخون في العلم، مما يجب معه أن نوظف هذا العلم على مهمة وسر وجود الإنسان، الذي خلق لمهمات عديدة، ومنها التكاثر وعمارة الكون وفي مقدمتها عبادة الله.

فقد أودع الله في الجسد، لأي كائن حي، على وجه الأرض من العجائب والغرائب ما يعجز الإنسان عن إحصائه، مما يجب معرفة بعضه بقدر ما يستوعب الإنسان لشكره عند ذكره، ومن ثم أداء حق الله في حكمة إيجاد هذه العجائب والغرائب، بدون جهد منا، أو بمن ولا ثمن، إلا زيادة الإيمان بالخالق القادر على كل شيء {أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون} (المؤمنون آية ١١٥). ذلك أن جسم الإنسان يبرز عند الباحثين في دقائقه وخلاياه بين حين وآخر والدارسين المتعمقين أشياء كثيرة دؤوبة العمل ووراء هذه الأشياء المحكمة والدقيقة في صنعها وعملها ما يحتار المرء في إدراك الكنه والمهمة، لكن العجب والذهول إذا عرف أن وراء ذلك سر إلهي، خلق الله الإنسان لتوظيف هذا السر في الدعوة لدين الله العلي العظيم، لأن العلم يدعو للإيمان.

ونموذج من الأمور التي تبرز المعقول بالمحسوس في معرفة بعض تلك الجنود الخفية، التي حمانا الله بها والتمعن في أسرار ما جعل الله في جسد الإنسان، ولنأخذ بعض وظائف الدم، ذلك السائل الأحمر المتحرك في عروقنا، المنتظم في سيرته، بهدوء لا إحساس معه، المحافظ على الأجساد في دورانه (الدورة الدموية) وأداء مهمته.

يقول المختصون في دراسة تكوينه، بأنه يتألف من محلول مائي، يسمى البلازما من خلايا الدم الحمراء وخلايا الدم البيضاء والصفيحات حسبما أطلقوا من تسميات للمعرفة والإيضاح.

وخلايا الدم نوعان: الحمراء والبيضاء هي المعروفة باسم (كريات) بالتصغير، وتعرف أيضا بكريات الدم الحمراء، وكريات الدم البيضاء، وهذا هو الاسم العلمي لأنها على شكلها عندما تكبر حيث تبرز على هيئة كرة صغيرة الحجم، لا ترى إلا بالمجهر، (الميكروسكوب)، وشكلها هذا أعطاها خصائص لفائدة هذا الجسد، لا إله إلا هو القادر على كل شيء (كن فيكون).

والبلازما هي التي تشكل ما يقرب من ٧٠% من حجم الدم لها وظيفة دقيقة في العمل، والإفادة للجسم، فهي تضم المواد الغذائية الذائبة فيه لتختلط بالمحلول المائي الذي يميل لونه إلى الاصفرار. ولمرونتها وليونتها فإنها تقوم بحركة منتظمة ومستمرة في أنحاء الجسم، بمثابة كتائب الجيش الخلفية، التي تؤدي دور الحراسة والحماية في الحروب، وذلك بفضل الله ثم فضل الضخ من القلب.

وبهذه الدورة ينتقل الغذاء إلى أجزاء الجسم ويأخذ كل عضو ما ينفعه ليستمر النمو والحيوية فسبحان من قدر ذلك.

ولما كان الجسم دقيق الصنع، محكم الجوانب، محميا من الله سبحانه وتعالى عن الشبيه والنظير كما تحمى الكتائب والجيوش المحاربة: حراسة من الخلف، حتى لا يدخل أي مؤثر يغير بهم، فإن من تركيب هذا الجسد الذي خصه الله به هو ضرورة الحاجة إلى الأوكسجين، ليتجدد نشاطه بعد المحافظة عليه من الأضرار وفي هذا شبه بالإمدادات والتموين في الجيوش المحاربة، لدرء الخطر عنها، ولتصمد في المصاولة.

ومن قدرة الله جل وعلا، ودقة صنعه{ الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى} (طه آية ٥٠) فقد جعل مهمة تجديد الهواء، وتنقية أطراف الجسد عن التأكسد، بجنود دؤوبة وخفية، وعملها محكم في حماية الجسد، إنها خلايا الدم الحمراء، كريات الدم ذات الشكل القرصي المقعر من الجانبين، وأعطاها المختصون اسما علميا تعرف به.

هذه الخلايا غنية بمادة حمراء، تعرف باسم (الهيموجلوبين) الذي له دور مهم، في نقل الأوكسجين وثاني أوكسد الكربون من الرئتين وإليهما، حيث يوجد بهما المعمل المحكم للتكرير والتنقية، وهذا المعمل لتبديل شيء فاسد بشيء هو من جند الله التي تحمي الجسم البشري من الآفات التي تضر به.

ويتراوح عدد الخلايا: أي عدد خلايا الدم الحمراء في المليمتر الواحد من الدم ما بين ٤,٥ إلى ٥ ملايين خلية. فسبحان من أوجد ذلك، وأحصى عددهن ونظمه في عمله، أليس هذا ما يدعو للتفكر والشكر؟!

إن هذه العملية في دورتها الدموية الدائبة، ما هي إلا دورية حراسة مخلصة، من دوريات الأمن في المجتمع في الشبه، تجعل عمل هذه الخلايا المزدوج بارزا في الدفاع، حيث ينشران الغذاء والأوكسجين الضروريين في الجسم مع الدم أو من الدم، فيما يفيده ويزيده حيوية وفائدة، إذ لو انقطع هذا الإمداد عن الجسم فترة قصيرة لمات صاحبه، ولذلك

يعتبرون أن الإنسان من ضرورة الحياة عنده: الماء والهواء.. فالماء يمثل الغذاء، والهواء يمثل الأوكسجين.

وبالمقابل: ينتقل غاز ثاني (أوكسيد الكربون) مع الإفرازات الضارة، من الجسم إلى الدم، حيث تعاد إلى مصانع التكرير والتنقية، وهذا من مدافعة الله سبحانه عن الإنسان الآفات والمصائب، حتى ينعم بحواسه كلها التي وهبها الله له {إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا} (الإسراء آية ٣٦) والأمر لا يقتصر على فائدة الجسم والدفاع عنه، من هذا الطريق المحكم الدقيق، والحركة الدائبة المنتظمة فقط، ولكن الله أودع في أجسامنا جيشاً آخر.

هذا الجيش يحمينا من أي ضرر يدخل الجسم لا تقوى عليه مئات من الناقلات للغذاء، والمنظفة للجسم، للمحافظة عليه من التسمم والفساد. فما هو هذا الجيش المتهيئ للدفاع بخطوات فدائية، دون أن نحس بحركته وتنقلاته أو بعمله وحرصه على المحافظة والوقاية لأجسادنا دون سابق إنذار منا، بل هو المستجيب بأول اتصال يوجه إليه، فقد أوجده في عمله الدائب: العزيز الحكيم القادر على كل شيء، إنه الجيش الغذائي: خلايا الدم البيضاء، أو باسمها العلمي: كريات الدم البيضاء، وهي تتكون من عدة أنواع ويسمونها الجيش الانتحاري، لأنها تدفع بنفسها في سبيل المحافظة على صحة كل فرد منا، بصمت وعمل منتظم، فتندفع بسرعة لتغذي المصاب، وتموت من أجله.

ولها دور مهم في الدفاع عن الأجسام، وذلك لقدرتها على ابتلاع الجراثيم والفيروسات الطارئة والقضاء عليها، وهذا نوع آخر من السلاح الذي يهاجم به كل غريب يدخل الجسم، لقدرتها على إفراز مواد تضعف هذه الطفيليات وتقتلها: من جراثيم أو فيروسات وغيرها.

فكريات الدم البيضاء تهاجم كل غريب يدخل الجسم، كما تعمل كلاب الحراسة في طرد الذئب أو اللص عن الغنم، فتحمي الجسم وتدافع عنه بهيئة انتحارية، فإذا شعرت بالضعف عن المقاومة اندفعت بقوة ثم تتجلط، وينشأ عن هذا ما يسمى (بالقيح) وهذه أمثل طريقة انتحارية للدفاع عن الجسد البشري، وتوقف تغلغل الخطر عن الجسم، حتى يتمكن جهاز المناعة بالنشاط، ومن ثم مزاولة قدراته في مقاومة بعض الأمور الطارئة، بعد أن كاد الجيش الغذائي الكريات البيضاء يعجز عن التصدي للخطر، فطلب المدد من جهاز المناعة وموطنه الكبد.

فسبحان من سخر لنا هذا ونحن عنه غافلون.

***

علوم الحديث

الوضع في الحديث

بداية الوضع ونشأته وتطوره

(٢-٢)

فضيلة الدكتور محمد إبراهيم محمد هارون المدني
الأستاذ بالجامعة السلفية، بنارس

وبعد فحص هذه الآراء وإمعان النظر فيها، يتبين لنا أن الرأي الثالث هو الرأي الراجح وذلك لأمور:

أما الحديث "من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار" فليس فيه دليل على أن الوضع حدث في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وليس له سند في روايات التاريخ ولا في سياق الحديث، فالنبي صلى الله عليه وسلم إنما قال ذلك حين أمر الصحابة بالتبليغ عنه، وفيه دلالة على أن النبي صلى الله عليه وسلم توقع ما سيكون من كذب عليه فحذر منه ونبّه أصحابه على أخذ الحيطة والتيقظ في قبول الأحاديث، ولا يوجد دليل صحيح على أنه قاله في حادثة معينة. [1]

وأما الحديث الثاني الذي استدل به القائلون أن الوضع حدث في النصف الثاني من خلافة عثمان رضي الله عنه، فقد اعتمدوا على حديث أبي ثور الفهمي عن عبد الرحمن بن عديس ولكن هذا الحديث موضوع ولا يجوز الاستدلال به، ولا يصلح أن يكون دليلا صحيحا قاطعا. [2]

---

[1] إلا ما رواه ابن الجوزي في الموضوعات ١/٥٥ من حديث بريدة "كان حي من بني ليث من المدينة على ميلين، وكان رجل قد خطب منهم في الجاهلية، فلم يزوجوه، فأتاهم وعليه حلة فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كساني هذه وأمرني أن أحكم في أموالكم ودمائكم ثم نزل على تلك المرأة التي خطبها، فأرسل القوم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: كذب عدو الله، ثم أرسل رجلا فقال: إن وجدته حيا فاضرب عنقه وإن وجدته ميتا فأحرقه، فجاء فوجده قد لدغته أفعى فمات فحرقه بالنار، لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من كذب علي متعمدا ....

فهذا الحديث تدور طرقه كلها على صالح بن حيان القرشي الكوفي.

قال البخاري: "فيه نظر" التاريخ الكبير ٢/٢٧٥، التاريخ الصغير ١/١٧١.

وقال النسائي: "ليس بثقة" الضعفاء والمتروكون ص ٢٩٢، ميزان الاعتدال ٢/٢٩٢.

وقال ابن معين: "ضعيف الحديث"، ميزان الاعتدال ٢/٢٩٢.

وقال ابن حبان: "يروي عن الثقات أشياء لا تشبه حديث الأثبات، كتاب المجروحين من المحدثين ١/٣٦٥.

فالحديث ضعيف جدا ولا يجوز الاستدلال به.

[2] أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات ١/٣٣٥، وقال: هذا حديث لا نشك في أنه كذب ولسنا نحتاج إلى الطعن في الرواة، وانما هو من تحرضات ابن عديس. =

فثبت أن الرأي الثالث هو الرأي الراجح، وأن الوضع بدأ في سنة أربعين أو إحدى وأربعين من الهجرة، وحينما تفرق المسلمون شيعا وأحزابا واشتعلت نار الفتنة، وولدت الأحقاد وزال الصفا من نفوس الكثيرين، انتهز بعض الأعداء الذين ظهروا بمظاهر مختلفة تحت أسماء فرق متعددة، هذه الفرصة، فحاولوا استغلال السنة لمآربهم الخبيثة وقاموا بوضع الأحاديث وتوليد الأخبار.

ولكن يجدر بنا أن نبين أن الوضع في الحديث لم يصل إلى ذروته في القرن الأول والثاني. وأن نطاقه كان ضيقا، لأن أسباب الوضع لم تكن كثيرة متوفرة، فلذا قلت الأحاديث الموضوعة، وأن الصحابة والتابعين كانوا مجانبين بها معزولين عنها لصدقهم وتورعهم، ولقربهم من عصر الرسول صلى الله عليه وسلم إذ لا يزالون مقتدين بتعليماته متأثرين بتوجيهاته محافظين على وصاياه، يعمهم التقوى والورع والخشية، فكانت الأسباب ضيقة

= وابن عديس: هو عبد الرحمن بن عديس البلوى الذي كان أميرا على القادمين من مصر إلى المدينة والذي حصروا عثمان وقتلوه مظلوما، تاريخ الطبري ٣٦٠/٤، ٣٦٩.

وأورده السيوطي في اللآلي المصنوعة ٣١٨/١، وقال: "صدق عثمان (أي ابن عفان) هذا من كذب ابن عديس.

وقال ابن عراق في تنزيه الشريعة ٣٥٠/١: "صدق عثمان في أن هذا من تحرض ابن عديس.

أقول: إن هذا القول يحتاج إلى التحقيق لأن ابن عديس هذا صحابي وهو ممن شهد بيعة الرضوان كما ذكر ابن عبد البر، وقال: هو عبد الرحمن بن عديس البلوى شهد الحديبية، وكان ممن بايع تحت الشجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، الاستيعاب ٨٤٠/٢، وبه قال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٢٤٨/٥، وابن الأثير في أسد الغابة ٣٠٩/٣، والحافظ ابن حجر في الإصابة ٣٣٤/٤.

فإذا ثبت أنه صحب النبي صلى الله عليه وسلم وشهد معه في بيعة الرضوان فلا يمكن صدور الكذب عنه، لأن الصحابة كلهم عدول، والذين شهدوا بيعة الرضوان يقول الله فيهم: (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونک تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا) (سورة الفتح: ١٨) فلا يمكن بعد هذا التعديل أن يكون أحدهم كذابا، أو يقال ان أحدهم كان أول من وضع على الرسول صلى الله عليه وسلم، فالحق أن هذا القول يحتاج إلى دليل.

وأما ما قاله السيوطي وتابعه فيه ابن عراق واستدل به الدكتور أكرم العمري، فهؤلاء اعتمدوا على الرواية التي رواها ابن الجوزي من طريق ابن أبي الدنيا قال: حدثت عن كامل بن طلحة حدثنا ابن لهيعة حدثنا يزيد بن عمرو المعافري أنه سمع أبا ثور الفهمي فذكره.

وهذا الحديث ضعيف جدا لا يجوز الاستدلال به لأن في اسناده انقطاعا بين ابن أبي الدنيا وبين كامل بن طلحة فإن ابن أبي الدنيا لم يثبت له اللقاء مع كامل بن طلحة، وفيه ابن لهيعة، وقد اختلف العلماء في توثيقه ولكن اتفقوا على انه اختلط في آخر عمره، ولا تقبل روايته التي رواها بعد الاختلاط، وان كامل بن طلحة أخذ عنه هذه الرواية بعد اختلاطه، كما أشار إليه الذهبي في ميزان الاعتدال ٤٧٩/٢، ٤٨٣، قال الذهبي في تلخيص الموضوعات: لا يدرى ممن أخذه ابن أبي الدنيا، وابن لهيعة على ضعفه قوى التشيع، تنزيه الشريعة ٣٥٠/١.

وقال ابن عدي في ابن لهيعة بأنه مفرط في التشيع، ميزان الاعتدال ٤٨٣/٢، وقد اتفق أصحاب الجرح والتعديل على أن الراوي إذا كان مبتدعا فلا تقبل روايته التي تؤيد معتقداته الباطلة وكذلک إذا كان الراوي مائلا إلى التشيع فلا تقبل روايته التي رواها في ذم عثمان أو في مدح علي. وبعد إمعان النظر في الآراء والمناقشة فيها يظهر أنه لا يجوز الاستدلال بهذا الحديث والرأي الذي ذهب إليه الدكتور أكرم العمري هو رأي غير صحيح.

والعوامل محدودة، لا تزال في نشأتها الأولى. فلما ازدادت البدع والفتن كثرت الأسباب واشتدت فتنة الوضع فيما بعد. وفي العراق ظهرت الأحاديث الموضوعة بكثرة، وتطورت حيث قامت أكثر الفتن والحوادث في هذه الأرض، ونشأت فيها بذور الفرق الدينية والسياسية، وانتشرت الأباطيل والمناكير والموضوعات والواهيات حتى سميت هذه الأرض "دار الضرب" تضرب فيها الأحاديث كما تضرب الدراهم، ولذا قال الإمام مالك إمام دار الهجرة: نزلوا أحاديث أهل العراق منزلة أحاديث أهل الكتاب، لا تصدقوهم ولا تكذبوهم.[١]

وقال له عبد الرحمن بن مهدي: يا أبا عبد الله سمعنا في بلدكم (المدينة) أربع مائة حديث في أربعين يوما ونحن (أي في العراق) في يوم واحد نسمع هذا كله، فقال له مالك: يا عبد الرحمن! من أين لنا دار الضرب التي عندكم، تضربون بالليل وتنفقون بالنهار.[٢]

وقال ابن شهاب الزهري: "يخرج الحديث من عندنا شبرا فيعود في العراق ذراعا".[٣]

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص لجماعة من أهل العراق: إن من أهل العراق قوما يكذبون ويُكذبون ويسخرون.[٤]

وقال سفيان بن عيينة إمام أهل مكة: "من أراد شيئا لا يعرف حقه من باطله فعليه بأهل العراق".[٥]

وقال عبد الله بن المبارك: "ما دخلت الشام إلا لأستغني عن حديث أهل الكوفة".[٦]

وقال الزهري: "إذا سمعت بالحديث العراقي فاردد به ثم اردد به".[٧]

ومع هذا كان في العراق عدد كبير من الثقات الكبار والأئمة الأثبات في كل عصر وجيل كأمثال قتادة ويحيى بن كثير والأعمش وشعبة والحجاج ومعمر والثوري، فإن هؤلاء قد لعبوا دورا هاما وبذلوا جهودا عظيمة في خدمة السنة النبوية الشريفة، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

***

---

[١] المنتقى من منهاج الاعتدال ص٨٨، السنة قبل التدوين ١٩٤.
[٢] المنتقى من منهاج الاعتدال للذهبي ص٨٨.
[٣] المرجع السابق ص٨٨.
[٤] طبقات ابن سعد ٤/١٣.
[٥] التاريخ الكبير لابن عساكر ١/٧٠.
[٦] التاريخ الكبير لابن عساكر ١/٦٩.
[٧] المصدر المذكور ١/٦٩.

العقيدة الإسلامية

الدعوة إلى التوحيد في الكتب المقدسة

(٢-٢)

أمان الله محمد إسماعيل
الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

المبحث الثاني: الدعوة إلى التوحيد في التوراة:

إنه مما لا شك فيه أن أساس عقيدة اليهود هو تحقيق التوحيد كما أن التوحيد هو عقيدة الأنبياء جميعا، من نوح وإبراهيم وإسماعيل ويوسف ويعقوب وموسى وعيسى وغيرهم عليهم الصلاة والسلام، وخاصة هو عقيدة موسى عليه السلام الذي ينتسب إليه اليهود، فالعقيدة التي جاء بها موسى عليه السلام هي التوحيد الخالص؛ ولأجل ذلك أمر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يدعو أهل الكتاب من اليهود والنصارى إلى كلمة التوحيد، فيقول تعالى: {قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون}.[١]

وهذا الخطاب يعم أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن جرى مجراهم، أمرهم الله أن يعبدوه وحده ولا يعبدوا غيره، لا وثناً ولا صليباً ولا صنماً ولا طاغوتاً ولا ناراً ولا شيئاً، بل يفردوا العبادة لله وحده لا شريك له، وهذه دعوة جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام.[٢]

فالذي ظهر من هذه الآية الكريمة أن عقيدة التوحيد مشتركة في الأصل بين اليهود والنصارى والمسلمين وغيرهم.

كما أنه وردت نصوص كثيرة في التوراة تدعو إلى توحيد الله عز وجل وعدم الشرك به.

ففي سفر التثنية دعوة صريحة إلى إله ورب واحد، ففيه: (اسمع يا إسرائيل إن الرب إلهنا رب واحد)[٣]

---

[١] انظر: سورة آل عمران: ٦٤.
[٢] انظر: تفسير ابن كثير ١/٤٥٦.
[٣] سفر التثنية ٦:٤.

وفيه أيضا: (إنك قد أريت لتعلم أن الرب هو الإله، ولا إله سواه)[١]

وفيه أيضا يبين موسى عليه السلام ألوهية الله تعالى وعبوديته أمام إسرائيل بقوله: (أنا هو الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية لا يكن لك آلهة أخرى أمامي لا تصنع لك تمثالا منحوتا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من أسفل وما في الماء من تحت الأرض لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأني أنا الرب إلهك إله غيور)[٢]

وفيه أيضا: (ولكن إن لم تسمع لصوت الرب إلهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه وفرائضه التي أنا أوصيك بها اليوم تأتي عليك جميع هذه اللعنات وتدركك ملعونا تكون في المدينة وملعونا تكون في الحقل ملعونة تكون سلتك ومعجنك ملعونة تكون ثمرة بطنك وثمرة أرضك نتاج بقرك وإناث غنمك. ملعونا تكون في دخولك وملعونا تكون في خروجك، يرسل الرب عليك اللعن والاضطراب والزجر في كل ما تمتد إليه يدك لتعمله حتى تهلك وتفنى سريعا من أجل سوء أفعالك إذ تركتني)[٣]

وفي سفر الخروج دعوة واضحة إلى التوحيد، ففيه: (ثم تكلم الله بجميع هذه الكلمات قائلا أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية لا يكن لك آلهة أخرى أمامي لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحث وما في الماء من تحت الأرض لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأني أنا الرب إلهك إله غيور افتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضي)[٤]

وقال: (لا تصنعوا معي آلهة فضة ولا تصنعوا لكم آلهة ذهب)[٥]

وفي سفر إشعيا دعوة إلى وحدانية الله تعالى، فقد ورد فيه:

(وصلى حزقيا إلى الرب قائلا يا رب الجنود إله إسرائيل الجالس فوق الكروبيم أنت هو الإله وحدك لكل ممالك الأرض أنت صنعت السموات والأرض... حقا يا رب إن ملوك آشور قد خربوا الأمم وأراضيهم ودفعوا آلهتهم إلى النار، ولأنهم ليسوا آلهة، بل صنعة

---

[١] سفر التثنية ٤:٣٥

[٢] سفر التثنية ٥:٦-٩.

[٣] سفر التثنية ٢٨:١٥-٢٠.

[٤] سفر الخروج ٥:١:٦.

[٥] سفر الخروج ٢٠:٢٣

أيدي الناس خشب وحجر، فأبادوهم والآن أيها الرب إلهنا، خلصنا من يده فتعلم ممالك الأرض كلها أنك أنت الرب الإله وحدك)[١]

وفيه أيضا: (إله الدهر الرب الخالق أطراف الأرض لا يكل ولا يعيا)[٢]

وفيه أيضا: (هكذا يقول الرب ملك إسرائيل وفاديه رب الجنود: أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غيري... هل يوجد إله غيري. ولا صخرة ولا أعلم بها الذين يصورون صنما كلهم باطل ومشتهياتهم لا تنفع وشهودهم لا تبصر ولا تعرف حتى تخزى. من صور إلها وسبك صنما لغير نفعها كل أصحابه يخزون والصناع هم من الناس. يجتمعون كلهم يقفون يرتعبون ويخزون معا)[٣]

وفي هذا السفر أيضا: (أنا الرب وليس آخر. لا إله سواي. نطقتك وأنت لم تعرفني لكي يعلموا من مشرق الشمس ومن مغربها أن ليس غيري. أنا الرب وليس آخر مصور النور وخالق الظلمة، صانع السلام وخالق الشر. أنا الرب صانع كل هذه)[٤]

وفي سفر المزامير ورد في دعاء داود عليه السلام ربه وإلهه ومعبوده، وتمجيده له: (أنت الله وحدك).[٥]

وجاء في مكان آخر على لسان داود عليه السلام: (لذلك قد عظمت أيها الرب الإله لأنه ليس مثلك وليس إله غيرك حسب كل ما سمعناه بآذاننا)[٦]

وجاء على لسان سليمان عليه السلام حيث بسط يده إلى السماء ودعا: (وقال أيها الرب إله إسرائيل، ليس إله مثلك وليس إله غيرك)[٧]

وفي سفر زكريا ورد خلال ذكر "يوم الرب": (ويكون يوم واحد معروف للرب لا نهار ولا ليل بل يحدث أنه في وقت المساء يكون نور... ويكون الرب ملكا على كل الأرض وفي ذلك يكون الرب وحده واسمه وحده)[٨]

---

[١] سفر إشعياء الإصحاح ٣٧: ١٥-٢١.
[٢] سفر إشعياء ٤٠: ٢٨.
[٣] سفر إشعياء الإصحاح ٤٤: ٦-١١.
[٤] سفر إشعياء ٤٥: ٥-٧.
[٥] المزامير ٨٦: ١٠.
[٦] صموئيل الثاني ٧: ٢٢.
[٧] الملوك الأول: ٨: ٢٣.
[٨] زكريا ١٤: ٩، ٧.

فهذه النصوص تثبت أن التوحيد كان تعليما أساسيا للأنبياء السابقين، وخاصة أنبياء بني إسرائيل، وأن أنبياء بني إسرائيل كلهم كانوا يدعون إلها واحدا في كل حوائجهم، وفي جميع عباداتهم، وهي في نفس الوقت الأدلة الواضحة والبينات الساطعة للتوحيد الخالص، و الدعوة إليه.

المبحث الثالث: الدعوة إلى التوحيد في الإنجيل:

إن أساس العقيدة في الديانة النصرانية هو التوحيد، وقد بقيت هذه العقيدة في الأناجيل الموجودة مع تحريفها وتبديلها؛ لتقوم الحجة عليهم.

ففي إنجيل متى يخاطب المسيح تلاميذه قائلا لهم ومحذرا من تعالي الكتبة: (وأما أنتم فلا تدعوا سيدي لأن معلمكم واحد المسيح وأنتم جميعا إخوة ولا تدعوا لكم أبا على الأرض لأن أباكم واحد الذي في السموات)[١]

وفي إنجيل متى قال المسيح عليه السلام للشيطان حين طلب منه أن يسجد له: (اذهب يا شيطان لأنه مكتوب للرب إلهک تسجد وإياه وحده تعبد)[٢]، فقال له عليه السلام هذا الجواب بعد أن حمله الشيطان وطاف به في أماكن كثيرة ليسجد له وورد في إنجيل مرقس جواب المسيح لرجل سأله عن أية وصية هي أول الكل؟ (فأجاب يسوع أن أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد تحب الرب إلهک من كل قلبک ومن كل نفسک ومن كل فكرک ومن كل قدرتک)[٣].

وفي إنجيل لوقا يتواضع المسيح عليه السلام مع ربه حيث ينهى أحد سائليه عن إطلاق كلمة "صالح" عليه؛ لأن الصالح هو الله (فقال له يسوع: لماذا تدعوني صالحا ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله)[٤]، وقال عليه السلام وهو يبين قدرة الله سبحانه وتعالى على كل شيء، وعجز الناس عنه: (غير المستطاع عند الناس مستطاع عند الله)[٥].

---

[١] إنجيل متى ٢٣: ٨-١٠.
[٢] إنجيل متى ٤: ١-١٠ انظر حوار إبليس وعيسى عليه السلام.
[٣] إنجيل مرقس ١٢: ٢٨-٣٠.
[٤] إنجيل لوقا ١٨: ١٩.
[٥] إنجيل لوقا ١٨: ٢٧.

ويهلل المسيح عليه السلام لخالقه بقوله : (أحمدك أيها الأب رب السماء والأرض)[١]

وفي إنجيل يوحنا يعبر المسيح عليه السلام عن الحياة الصحيحة التي تكون مصدرا للسعادة الأبدية بقوله: (والحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحق وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلتك)[٢].

وفي رسالة يوحنا الأولى: (أيها الأحباء إن كان الله قد أحبنا هكذا ينبغي لنا أيضا أن يحب بعضنا بعضا. الله لم ينظره أحد قط) .[٣]

وبولس الذي هو أبو الوثنية، والذي خرب الديانة النصرانية فقد ورد من لسانه التوحيد، فيقول: (لأن الله واحد هو الذي سيبرر الختان بالإيمان والغرلة بالإيمان)[٤].

وينفي بولس كذلك الواسطة بين الله وغيره بقوله : (وأما الوسيط فلا يكون لواحد ولكن الله واحد)[٥].

ويقول بولس أيضا: (ولكن لنا إله واحد الأب الذي له جميع الأشياء، ونحن له) .[٦]

وفي رسالة يعقوب دعوة إلى التوحيد والعمل : (أنت تؤمن أن الله واحد حسنا تفعل.... ولكن هل تريد أن تعلم أيها الإنسان الباطل أن الإيمان بدون أعمال ميت) .[٧]

فالحاصل: إن العهد القديم من الكتاب المقدس مليء بالنصوص التي فيها الدعوة إلى التوحيد الخالص، وأن الأنبياء عليهم السلام كلهم دعوا إلى هذه العقيدة.

المبحث الرابع: الدعوة إلى التوحيد في الفيدات:

إن الهنادك يقدسون الفيدات، ويعتقدون أنها كتب إلهامية، وبعد الفحص والبحث في هذه الفيدات نجد أن فيها دعوة إلى عبادة إله واحد.

---

[١] إنجيل لوقا١٠:٢١.
[٢] إنجيل يوحنا٣:٤.
[٣] رسالة يوحنا الأولى٤:١١-١٢.
[٤] رسالة بولس إلى أهل رومية٣:٣٠.
[٥] رسالة بولس إلى أهل غلاطية٣:٢٠.
[٦] رسالته إلى أهل كورنثوس٨:٦.
[٧] رسالة يعقوب٢:١٩-٢٠.

ففي ريج فيدا الذي هو أصل لباقي الفيدات نجد في أماكن كثيرة دعوة إلى عبادة إله واحد، كما أن فيه ذكرت أسباب عبادة إله واحد، ففيه: (على الناس أن يعبدوا الله وحده، ويطيعوا حكمه دائما وأبدا)[1].

وفيه أيضا: (أن الله ينظر إلى الناس في كل وقت وفي كل مكان)[2].

وفيه أيضا: (لا يعبد غير الله مكان الله، لأنه لم يأمر الله بها، ولا شيء مثله حتى يعبد)[3].

وفيه أيضا: (الذي يعبد الشياطين ينالها، ومن يعبد الآلهة من الذكر ينالها، ومن يعبد الآلهة من الإناث ينالها، ومن يعبد الخالق والمالك يناله ويجعل حياته سعيدة)[4].

هذا نموذج من الدعوة إلى التوحيد وعبادة الله وحده في الكتب المقدسة لدى الهنادك، أُمر فيها عبادة الله وحده، وفي عبادة الله وحده النجاح والفوز في الحياة الدنيا، ومن يعبد الله وحده تكون حياته حياة سعيدة.

المبحث الخامس: الدعوة إلى التوحيد:

قد تبين لنا أن التوحيد هو عقيدة الأنبياء والرسل عليهم السلام، وكلهم كانوا يدعون إليه، وهذه العقيدة هي التي توافق العقل والنقل والفطرة، وهي التي دعا إليها القرآن أهلَ الكتاب فقال عز من قائل: {قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأننا مسلمون}[5]، ومن أجله خلق الجن والإنس، يقول تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}[6]، والكتب المقدسة من القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والفيدات كلها شاهدة عليه، فعلى من يعتقد بهذه الكتب المقدسة ويؤمن بها أن يوحد الله تعالى وحده، ويعبده وحده، ولا يشرك به شيئا، ويترك ما دخلت في دياناتهم من الوثنيات والشركيات، وتعدد الآلهة والمعبودات، والإلحاد والخرافات، والغلو في الأنبياء والصالحين، وأن يعرف الرب

---

[1] انظر: ريج فيدا ج ا، منتر: ٩١، ص: ٢٤٠.
[2] انظر: ريج فيدا ج ١، منتر: ٨٣، ص: ٢٢٠.
[3] انظر: ريج فيدا ج ١، منتر: ٩١، ص: ٢٤٣.
[4] انظر: ريج فيدا ج ١، منتر: ٩١، ص: ٢٤٤.
[5] انظر: سورة آل عمران: ٦٤.
[6] سورة الذاريات: ٥٦.

الخالق المحيي المميت، فلا يعبد إلا إياه، لا الأنبياء والرسل والصالحين، ولا الأصنام والأوثان، ولا الأشجار والأحجار، ولا الأبقار؛ لأن هذا كله خلاف العقل والفطرة، فالخالق هو الذي يعبد، وهو الذي يركع له ويُسجد، وينذر له ويذبح، وهو المعبود الحقيقي، وغيره عبيده ومليكه، فهم لا يستحقون العبادة والإلهية.

وكما أن عليهم أن يعرفوا أن الكتب المقدسة كلَها غير القرآن الكريم قد حرفت وبدلت ونقص منها، وزيد فيها،

وهي منسوخة بالقرآن الكريم، فعليهم أن يقرءوا الكتب المقدسة جميعا، ويتأملوا فيها، ويتعرفوا على التناقضات البينات والخياليات والخرافات، وما ورد في المعبودات من الضلالات واتباع الشهوات، وما على أتباع الديانات السماوية إلا أن يعتنقوا الإسلام، لأنه شامل كامل محفوظ بحفظ الله تعالى له، ومهيمن على جميع الأديان والمذاهب، وغيره من الكتب المقدسة قد حرفت وبدلت ونسخت به.

خاتمة:

وفي نهاية هذا المطاف أذكر أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث المختصر، وهي كالتالي:

أولا: أن الأنبياء جميعا كان عقيدتهم التوحيد، وكلهم دعوا إلى هذه العقيدة.

ثانيا: أن أساس عقيدة أنبياء بني إسرائيل هو التوحيد والدعوة إليه.

ثالثا: أن الكتب المقدسة كلها من القرآن والتوراة والإنجيل والفيدات متفقة على الدعوة إلى التوحيد.

رابعا: أن جميع الكتب المقدسة غير القرآن الكريم لحقتها الشركيات والوثنيات، وغيرت وبدلت وزيد فيها ونقص منها.

خامسا: أن على الداعية المسلم أن ينتهج منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله تعالى، وأن يكون شغله الشاغل هو الدعوة إلى توحيد الله عز وجل، كما أن عليه أن يُبرز نصوص الكتب المقدسة التي ورد فيها التوحيد، ومن ثم يدعوهم إلى هذه العقيدة.

***

المراجع والمصادر

١. القرآن الكريم

٢. تفسير القرآن العظيم لابن كثير، مراجعة: الشيخ خالد محمد محرم، مكتبة العبيكان ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٣. التوضيح المبين لتوحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تصحيح: محمد بن سليمان بن عبد العزيز آل بسام، دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٠هـ.

٤. دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية للدكتور سعود الخلف، ط٤، أضواء السلف.

٥. دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند للدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الرشد، ط٤.

٦. الدرر السنية في الأجوبة النجدية جمع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي الحنبلي، ط٦، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٧. دعوة الرسل إلى الله تعالى لمحمد أحمد العدوي، دار المعرفة، بيروت لبنان، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٨. ريج فيدا – آشورام آرية – ناشر: آرية بركاشن.

٩. شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ت: عبد المحسن بن عبد الله التركي و شعيب الأرناؤوط، ط٤، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

١٠. صحيح الإمام البخاري بيروت لبنان ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

١١. العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية. ت – علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري مكتبة دار الأصالة، ط، ٢، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

١٢. العقيدة الإسلامية وجهود علماء المسلمين في تقريرها والدفاع عنها حتى نهاية العصر الحديث للدكتور عطا الله بخيت حماد المعايطة، دار الآفاق الفكرية، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

١٣. الكتاب المقدس (العهد القديم والجديد).

١٤. المسيحية دراسة وتحليل للأستاذ ساجد مير، دار السلام.

١٥. منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل، للدكتور ربيع المدخلي، مكتبة الفرقان، ط١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

***

آداب إسلامية

آداب صلاة الاستسقاء

الشيخ لطف الحق المرشدآبادي
المدرس بجامعة شمس الهدى السلفية، دلال فور، جاركند

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فهذه كلمة موجزة في آداب صلاة الاستسقاء، أريد أن أقدمها بين يدي القارئ الكريم ليعرف جيدا آداب وسنن صلاة الاستسقاء، حتى تكون صلاته وفق السنة النبوية المطهرة، فأقول وبالله التوفيق والعصمة:

صلاة الاستسقاء سنة مؤكدة ثابتة بسنة رسول الله وخلفائه رضي الله عنهم.

سن الإسلام آدابا وسننا تتعلق بصلاة الاستسقاء أذكر من أهمها فيما يلي:

١- إن السنة أن يخرج المرء لصلاة الاستسقاء متبذلا -أي في ثياب البذلة، أي لا يلبس ثياب الزينة، ولا يتطيب، متواضعا متخشعا متذللا متضرعا راغبا، فعن ابن عباس قال: "خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم للاستسقاء متبذلا متواضعا متخشعا متضرعا حتى أتى المصلى فلم يخطب كخطبتكم هذه، ولكن لم يزل في الدعاء والتضرع والتكبير، وصلى ركعتين كما كان يصلي في العيد". [١]

قال ابن قدامة المقدسي: "ويستحب التنظيف بالماء واستعمال السواك وما يقطع الرائحة، ويستحب الخروج لكافة الناس وخروج من كان ذا دين وستر وصلاح، والشيوخ أشد استحبابا لأنهم أسرع للإجابة، فأما النساء: فلا بأس بخروج العجائز ومن لا هيئة لها، فأما الشواب وذوات الهيئة فلا يستحب لهن الخروج، لأن الضرر في خروجهن أكثر من النفع، ولا يستحب إخراج البهائم لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعله. [٢]

٢- يستحب الخروج للاستسقاء إلى الصحراء، فعن عبد الله بن زيد المازني يقول: "خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المصلى فاستسقى وحول رداءه حين استقبل القبلة". [٣]

---

[١] أخرجه أبو داود (١/ ح١١٦٥) والترمذي (٢/ ٥٨٥) وقال الألباني: حسن.

[٢] المغني ٣/ ١٦٣.

[٣] رواه مسلم في الصحيح، كتاب صلاة الاستسقاء.

٣ – يستحب أن يحول الإمام والمأموم الرداء حين يستقبل القبلة للحديث المتقدم آنفا.

قال النووي: "والتحويل شرع تفاولا بتغيير الحال من القحط إلى نزول الغيث والخصب ومن ضيق الحال إلى سعته". (١)

٤–تسن للاستسقاء صلاة بركعتين وخطبتين، فعن عباد بن تميم عن عمه قال: خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى المصلى فاستسقى واستقبل القبلة وقلب رداءه وصلى ركعتين. (٢)

قال النووي: وفيه أن صلاة الاستسقاء ركعتان وهو كذلك باجماع المثبتين لها ، واختلفوا هل هي قبل الخطبة أو بعدها، فذهب الشافعي والجماهير إلى أنها قبل الخطبة، وقال الليث: بعد الخطبة، وكان مالك يقول به ثم رجع إلى قول الجماهير. قال أصحابنا: ولو قدم الخطبة على الصلاة صحتا، ولكن الأفضل تقديم الصلاة كصلاة العيد وخطبتها، وجاء في الأحاديث ما يقتضي جواز العيد والتأخير، واختلفت الرواية في ذلك عن الصحابة رضي الله عنهم، واختلف العلماء هل يكبر تكبيرات زائدة في أول صلاة الاستسقاء كما يكبر في صلاة العيد، فقال به الشافعي وابن جرير، وروى عن ابن المسيب وعمر بن عبد العزيز ومكحول، وقال الجمهور: لا يكبر، واحتجوا للشافعي بأنه جاء في بعض الأحاديث صلى ركعتين كما يصلي في العيد، وتأوله الجمهور على أن المراد كصلاة العيد في العدد والجهر بالقراءة، وفي كونها قبل الخطبة، واختلفت الرواية عن أحمد في ذلك، وخيره داود بين التكبير وتركه، ولم يذكر في رواية مسلم الجهر بالقراءة، وذكره البخاري، وأجمعوا على استحبابه، وأجمعوا أنه لا يؤذن لها ولا يقام، لكن يستحب أن يقال: الصلاة جامعة. (٣)

٥– ويسن أن يجهر بالقراءة لما روى عبد الله بن زيد قال: "خرج النبي صلى الله عليه وسلم يستسقي فتوجه إلى القبلة يدعو وحول رداءه، ثم صلى ركعتين. جهر فيهما بالقراءة". (٤)

---

(١) شرح صحيح مسلم ص٢٩٢.

(٢) رواه مسلم.

(٣) شرح صحيح مسلم ٢٩٢/١، طبع الهند.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٨/٢، ٣٩) ومسلم (٦١١/٢) دون قوله جهر فيهما.

وإن قرأ فيهما بـ "سبح اسم ربک الأعلى" و "هل أتاک حديث الغاشية" فحسن لقول ابن عباس: صلى ركعتين كما كان يصلي في العيد.

وروى ابن قتيبة في غريب الحديث بإسناده عن أنس: أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج للاستسقاء فتقدم فصلى بهم ركعتين يجهر فيهما بالقراءة، وكان يقرأ في العيدين والاستسقاء في الركعة الأولى: بفاتحة الكتاب، و "سبح اسم ربک الأعلى" وفي الركعة الثانية: بفاتحة الكتاب، و "هل أتاک حديث الغاشية". [١]

٦–ولا يسن لها أذان ولا إقامة، فقد روى أبو هريرة قال: "خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما يستسقي فصلى بنا ركعتين بلا أذان ولا إقامة، ثم خطبنا ودعا الله تعالى، وحول وجهه نحو القبلة رافعا يديه، وقلب رداءه فجعل الأيمن على الأيسر والأيسر على الأيمن". [٢]

٧–وليس لصلاة الاستسقاء وقت معين إلا أنها لا تفعل في وقت النهي بغير خلاف، لأن وقتها متسع فلا حاجة إلى فعلها في وقت النهي، والأولى فعلها في وقت العيد لما روت عائشة "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج حين بدا حاجب الشمس". [٣]

٨–ويستحب خروج الصبيان كغيرهم من الناس لصلاة الاستسقاء. [٤]

قال ابن قدامة المقدسي: "خروج الشيوخ والصبيان أشد استحبابا من الشباب لأن الصبيان لا ذنوب عليهم. [٥]

٩–السنة في كل دعاء لرفع بلاء كالقحط ونحوه أن يرفع يديه، ويجعل ظهر كفيه إلى السماء، وإذا دعا لسوال شيء وتحصيله جعل بطن كفيه إلى السماء.

فعن أنس بن مالک أن النبي صلى الله عليه وسلم استسقى فأشار بظهر كفيه إلى السماء. [٦]

---

[١] المغني ٣/١٦٥.
[٢] رواه الأثرم، انظر: المغني ٣/١٦٥.
[٣] أخرجه أبو داود (١/ح ١١٧٣) وقال الألباني: حسن.
[٤] المغني ٣/١٦٧.
[٥] المغني ٣/١٦٧.
[٦] رواه مسلم.

١٠–يستحب رفع الأيدي في دعاء الاستسقاء لما روى البخاري عن أنس قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يرفع يديه في شيء من دعائه إلا الاستسقاء، وإنه يرفع حتى يرى بياض إبطيه[١] وفي حديث أنس أيضا: فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ورفع الناس أيديهم[٢] ويستحب أن يدعو بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم فروى عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا استسقى قال: "اللهم اسقنا غيثا مغيثا هنيئا مريعا، غدقا مجللا، طبقا سحا دائما، اللهم اسقنا الغيث، ولا تجعلنا من القانطين، اللهم إن بالعباد والبلاد من اللأواء والجهد والضنك ما لا نشكوه إلا إليك، اللهم أنبت لنا الزرع، وأدر لنا الضرع، واسقنا من بركات السماء وأنزل علينا من بركاتك، اللهم ارفع عنا الجهد والجوع والعرى، وارفع عنا من البلاء ما لا يكشفه غيرك، اللهم إنا نستغفرك، إنك كنت غفارا، فأرسل السماء علينا مدرارا".

وروى جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اللهم اسقنا غيثا مغيثا، مريئا مريعا، نافعا غير ضار، عاجلا غير آجل (رواه أبو داود) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "شكا الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قحوط المطر، فأمر بمنبر فوضع له في المصلى ووعد الناس يوما يخرجون فيه، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بدأ حاجب الشمس فقعد على المنبر فكبر وحمد الله ثم قال: "إنكم شكوتم جدب دياركم، واستئخار المطر إبان زمانه عنكم، فقد أمركم الله أن تدعوه، ووعدكم أن يستجيب لكم" ثم قال: "الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، لا إله إلا الله، يفعل ما يريد، اللهم أنت الله لا إله الا أنت الغني، ونحن الفقراء، أنزل علينا الغيث، واجعل ما أنزلت لنا قوة وبلاغا إلى حين، ثم رفع يديه فلم يزل في الرفع حتى يرى بياض إبطيه، ثم حول إلى الناس ظهره وقلب أو حول رداءه وهو رافع يديه، ثم أقبل على الناس فنزل فصلى ركعتين" (رواه أبو داود) وروى ابن قتيبة بإسناده في غريب الحديث عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج للاستسقاء فصلى بهم ركعتين يجهر فيهما بالقراءة، وكان يقرأ في العيدين والاستسقاء في الركعة الأولى بفاتحة

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه (٢/٣٩، ٤٠) ومسلم (٢/٦١٢) وأبو داود (١/ح١١٧٠) وابن ماجه (١/ح١١٨٠) والنسائي (٣/ ١٥٨).

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه (٢/٣٩).

الكتاب وسبح اسم ربک الأعلى، وفي الركعة الثانية فاتحة الكتاب وهل أتاک حديث الغاشية، فلما قضى صلاته استقبل القبلة بوجهه وقلب رداءه ورفع يديه وكبر تكبيرة قبل أن يستسقي ثم قال: "اللهم اسقنا غيثا مغيثا، وحيا ربيعا، وجدا طبقا غدقا مغدقا مونقا هنيئا مريا مريعا مربعا مرتعا، سابلا مسبلا، مجللا دائما، درورا نافعا غير ضار، عاجلا غير آجل، اللهم تحيي به البلاد، وتغيث به العباد، وتجعله بلاغا للحاضر منا والباد، اللهم أنزل في أرضنا زينتها، وأنزل علينا في أرضنا سكنها، اللهم أنزل علينا من السماء ماءا طهورا، فأحيي به بلدة ميتا، واسقه مما خلقت أنعاما وأناسي كثيرا".[١]

١١- ويستحب أن يدعو سرا حال استقبال القبلة، فيقول: اللهم إنک أمرتنا بدعائک، ووعدتنا إجابتک فقد دعوناک كما أمرتنا فاستجب لنا كما وعدتنا، اللهم فامنن علينا بمغفرة ذنوبنا واجابتنا في سقيانا وسعة أرزاقنا، ثم يدعو بما شاء من أمر دين ودنيا.[٢]

١٢- ويستحب أن يستسقى بمن ظهر صلاحه لأنه أقرب إلى إجابة الدعاء، وقد استسقى عمر رضي الله عنه بالعباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فروى ابن عمر قال: استسقى عمر عام الرمادة بالعباس فقال: اللهم إن هذا عم نبيک صلى الله عليه وسلم نتوجه إليک به فاسقنا، فما برحوا حتى سقاهم الله عز وجل، وروى أن معاوية خرج يستسقي فلما جلس على المنبر قال: أين يزيد ابن الأسود؟ فقام يزيد فدعاه معاوية فأجلسه عند رجليه ثم قال: اللهم إنا نتشفع إليک بخيرنا وأفضلنا يزيد ابن الأسود، ارفع يديک، فرفع يديه، ودعا الله، فثارت في الغرب سحابة مثل على اليسار وما على اليسار على اليمين، روى ذلک عن أبان بن عثمان وعمر بن عبد العزيز، وهشام بن اسماعيل، وأبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ومالک.[٣]

١٣- ويستحب أن يستفتح الخطبة بالتكبير كخطبة العيد ويكثر من الاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ويقرأ كثيرا: "استغفروا ربكم إنه كان غفارا" (نوح: ١٠) وسائر الآيات التي فيها الأمر به فإن الله تعالى وعدهم بإرسال الغيث إذا استغفروه.[٤]

---

[١] انظر المغني ٣/١٦٨، ١٦٩.

[٢] المغني ٣/١٧٢.

[٣] المغني ٣/١٧٢.

[٤] المغني ٣/١٧٤.

وروي عن عمر رضي الله عنه أنه خرج يستسقي فلم يزد على الاستغفار، وقال: لقد استسقيت بمجاديح السماء.[١]

١٤- فإن سقوا وإلا عادوا ثانيا وثالثا، وإن سقوا قبل خروجهم شكروا الله تعالى وسألوه المزيد من فضله.

وبهذا قال مالك والشافعي، وقال اسحاق: لا يخرجون إلا مرة واحدة، لأنه صلى الله عليه وسلم إنما خرج مرة واحدة، ولكن يجتمعون في مساجدهم، فإذا فرغوا من الصلاة ذكروا الله تعالى ودعوا ويدعو الإمام يوم الجمعة على المنبر ويؤمن الناس.[٢]

١٥- ويستحب أن يقف في أول المطر ويخرج رحله ليصيبه المطر، لما روى أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينزل عن منبره حتى رأينا المطر يتحادر عن لحيته.[٣]

وعن ابن عباس أنه كان إذا أمطرت السماء قال لغلامه: "أخرج رحلي وفراشي يصيبه المطر"، ويستحب أن يتوضأ من ماء المطر إذا سال السيل، لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا سال السيل يقول: اخرجوا بنا إلى هذا الذي جعله الله طهورا فنتطهر.[٤]

١٦- ويستحب الدعاء عند نزول الغيث، لما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: اطلبوا استجابة الدعاء عند ثلاث: عند التقاء الجيوش، وإقامة الصلاة، ونزول الغيث.[٥]

وعن عائشة ضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى المطر قال: "صيبا نافعا".[٦]

١٧- ويستحب أن يستسقوا عقيب صلواتهم، ويوم الجمعة يدعو الإمام على المنبر ويؤمن الناس، قال القاضي: الاستسقاء ثلاثة أضرب، أكملها: الخروج والصلاة على ما وصفناه، ويليه استسقاء الإمام يوم الجمعة على المنبر، لما روي أن رجلا دخل المسجد يوم

---

[١] المصدر السابق.

[٢] التعليق على المغني ٣/١٧٤، ١٧٥.

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه (٢/٤٠) والنسائي (٣/١٦٦) وأحمد (٣/٢٥٦).

[٤] أخرجه البيهقي في السنن (٣/٣٥٩) وقال: هذا حديث منقطع، وروى فيه عن عمر.

[٥] أخرجه البيهقي في السنن (٣/٣٦٠).

[٦] أخرجه البخاري في صحيحه (٢/٤٠) وابن ماجه (٢/٣٨٨٩) بلفظ "صيبا نافعا".

الجمعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب، فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما ثم قال: يا رسول الله! هلكت الأموال وانقطعت السبل، فادع الله أن يغيثنا، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه فقال: اللهم أغثنا اللهم أغثنا اللهم أغثنا، قال أنس: ولا والله ما يرى في السماء من سحاب ولا قزعة ولا شيء، ولا بيننا وبين سلع من بيت ولا دار، فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء، انتشرت ثم أمطرت، فلا والله ما رأينا الشمس ستا، ثم دخل من ذلك الباب رجل في الجمعة المقبلة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب، فاستقبله قائما، وقال يا رسول الله! هلكت المواشي وانقطعت السبل، فادع الله أن يمسكها عنا، قال: فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وقال: اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الظراب والآكام وبطون الأودية ومنابت الشجر، قال: فانقطعت وخرجنا نمشي في الشمس. (متفق عليه) والثالث أن يدعو الله تعالى عقيب صلواتهم وفي خلواتهم.[1]

١٨- وإذا زادت المياه فخيف منها استحب له أن يقول: اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الظراب والآكام وبطون الأودية ومنابت الشجر.[2]

١٩- وإذا جاء المطر استحب أن يقول: مطرنا بفضل الله ورحمته، ولا يقول: بنوء كذا.[3]

٢٠- يستحب للإمام أن يصعد المنبر لخطبة الاستسقاء، وأن يخرج لصلاة الاستسقاء عند طلوع الشمس، وأن يفتتح الخطبة بالحمدلة، ويقرأ الأدعية المأثورة المتقدمة في السطور الماضية.

***

---

[1] المغني ٣/١٧٨.

[2] أيضا ٣/١٧٩.

[3] أيضا ٣/١٧٩.

البحث والتحقيق

كيفية تحقيق المخطوطات

الدكتور/محمد عمران الأعظمي
محقق دائرة المعارف العثمانية

الحمد لله العلي الوهاب، وإليه المرجع والمآب، وبعد: فقبل الخوض في حديث التحرير، يجدر بي أن أقوم بتعريف المخطوطة، من بين نصوص مضبوطة، حائدا عن الكذب المنجوش، والرز المغشوش. فالمخطوط هو ما خط باليد، بقطع النظر عن تقادم العهد، أو تطاول الأمد. والحمد لله البالي، أنه أعطاني الكعب العالي، في تحرير المخاطيط، بعيدا عن المزلات والمخابيط. والحمد لله مرة أخرى، وهو بحمده أولى وأحرى، أني قمت في الدائرة ، التي بلغت شهرتها إلى أصقاع العرب ولاسيما القاهرة، بكتابة وتدقيق ومقارنة وتحقيق ما يربو على الأربعين، وكان الله نعم المولى ونعم المعين، وقد حطمت كل الأرقام القياسية، في تحقيق المخاطيط والالتزام بالمبادئ الأساسية.

أولا وقبل كل شيء أود استرعاء انتباهكم إلى أن الأعمال المتضارية التي ترتبط بالمخطوط، تتراوح بين الواهي والمضبوط، فالعمل الأول هو "تحرير المخطوط" والتحرير حسب المعاجم والقواميس اللغوية، معناه الأول: إطلاق السراح أو إعتاق الأعناق، ويرجع معناه إلى الحر، أي من كان عبد السلاسل جعلته حرا، ولذلك يطلق عليه "تحرير العبيد" ويقال له في اللاطينية: Liberation, Emancipation, Disenthrallment, Enfranchisement, Manumission، ويأتي معناه الثاني: التلخيص من مخمصة أو ورطة، ويقال له في اللاطينية: Dytrication, Eyoneration, Disburdenment ، وفي الكلمات البسيطة السهلة: Discharge ، ويقال له أيضا: المخالصة أو Relief أي الراحة، أو Release أو التلخيص. والرابع: تحرير من السحر أو الوهم وهو في اللاطينية: Disillusionment, Disenchantment. والمعنى الخامس وهو المقصود هنا: الكتابة والصياغة، وهو في اللاطينية: Writing, Redaction, Editing، وفي اللغة اللاطينية الحديثة: To pen up، ومن ثم نرى في الكتب القديمة أن الخلافات إذا تفاقمت في تعيين لفظ أو معنى قالوا: فليحرر، وهذا التحرير يعني الاستثبات والتأكيد.

تصحيح المخطوطة: هـذا هو العمل الجبار والعبء والثقيل والمسئولية الكبرى التي نقوم بها في دائرة المعارف منذ خمسين سنة تباعا، ولقد وردتني العروض للرواتب المغرية من بعض الجهات العربية والغربية فرفضتها لأجل أن اللذة الكبرى التي تتأتى في تصحيح المخطوطة لا يتأتى في جماع المرأة، وجماع المرأة هو أكبر لذة في الدنيا حسب قول الإمام الشافعي العبقري، والعبقر قبيلة من الجن، ينسب إليه العبقري كما في الأنساب للسمعاني وإكمال ابن ماكولا، ولباب الأنساب، ونزهة الألقاب لابن حجر العسقلاني، وأما استعمال التصحيح لقراءة التجريبيات والملازم فهو ظلم عظيم في حق المصححين، وكذلك وقع في تاريخ دائرة المعارف العثمانية أن بعض الجهابذة المزعومين ترجم كلمة المصحح إلى قارئ البروفات، فقامت في الدائرة قيامة على المصححين البارزين حتى إذا قام بعض مسئولي "ناشيونال ميسون أوف مانيسكريبت" بالاتصال مع كاتب الدائرة بمعنى Clerk وسأله عن منصبي ومسماي قال: إن الدكتور محمد عمران العظمي هو قارئ البروفات. ونعوذ بالله من شرور أنفسهم ومن سيئات أعمالهم، وهذا جرى إبان ورشة عقدت في دلهي في فبراير سنة عشر بعد الألفين وشاركت فيها ووصفوني بأني أنا دائرة المعارف.

وتعريجا على الموضوع الرئيسي فإن التصحيح يقتضي علوما جمة ومعارف موفورة وصلاحية كبرى في تمييز الكوع من البوع، وتخليص الحابل من النابل، ومعرفة الكتابات القديمة، وهي في اللاطينية: Paleography، فمثلا إذا وسد إليّ تصحيح "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط — ضبطه في الأعلام للزركلي بضم الراء وتخفيف الباء — بن علي بن أبي بكر البقاعي الشافعي، والبقاعي ضبطه عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني رحمه الله في تعليقه على الأنساب — الجزء الثاني ص: ٢٨ وقال: البقاعي بكسر الموحدة وفتح القاف مخففة وبعد الألف عين مهملة: بلد معروف بالشام، ينسب إليه جماعة أشهرهم الإمام المفسر إبراهيم بن عمر البقاعي، من أجلة القرن التاسع، ولد سنة ٨٠٩هـ وتوفي سنة ٨٨٥هـ وأضيف أنا محمد عمران الأعظمي أن البقاعي كان من أحب تلامذة الحافظ ابن حجر العسقلاني (المتوفى سنة ٨٥٢هـ)، ولقد نال منه تلميذه الآخر أبو عبد الرحمن السخاوي في كتابه المسمى بالضوء اللامع، وانهال على البقاعي بالشتائم واللعنات، ولكن عادت جميع أصواته أدراج الرياح، ولم يوافقه أحد على تعليقه الشنيع على صاحبنا البقاعي، ولما كنت أساعد الشيخ حبيب عبد الله المديحجي على تصحيح مخطوط "إنباء الغمر بأبناء العمر" للعسقلاني وجدت أن الأستاذ لقد أمطر وابلا من

الثناء على تلميذه، وأبدى اعتزازه فيه، وقال في معرض ذكر مرابطة قبرص (وعاصمتها الآن: نيقوسيا): ها نحن نذكر نبذة من كتابة تلميذي البقاعي لأحوال مرابطة قبرص" وأطال الكلام على عربيته المسجعة".

وقال البقاعي: وسميته نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ويناسب أن يسمى "فتح الرحمن في تناسب أجزاء القرآن" "وأنسب الأسماء له" ترجمان القرآن ومبدي مناسبات الفرقان" وهذا الفن لقد استهله جزئيا العالم الكبير أبو يوسف الأندلسي في كتابه "البحر المحيط" والنهر الماد من البحر، واغترف من منهله حميد الدين الفراهي ادعى الأولية في هذا الفن.

وعودا على بدء فإن اللبنة الأولى من صرح التصحيح إنما هي فرز المخطوطات، أيها أصح وأخلى من الأخطاء الكتابية والسقطات والخرم والدرم. وانطلاقا من هذا المبدأ الأصيل فقد شجعنا (أي اعتزمنا) بمخطوطات نظم الدرر في مكامن مجاهيل ومعاريف، فأدركنا أن نسخة من الكتاب المشار إليه متوفرة في الخزانة العامة –الرباط، وهي مكتبة حافلة بالكتب الأندر من الغراب الأعصم، فهي كالبحر الخضمّ، فجعلناها أساسا وسمناها بالأصل، وعثرنا على النسخة الثانية في درج المكتبة المصرية بالقاهرة، فرمزنا إليه بحرف "م" والثالثة اطلعنا عليها في متكدسات المكتبة الظاهرية ببغداد، ولقد تعرض جل متاعها للحريق لما هاجمت العراق القوى الأميركية والغربية، فرمزنا إليها بحرف "ظ" والنسخة الرابعة –بل الأخيرة– صادفناها في مكتبة المدينة المقابلة لباب جبريل لو لم تخطأ ذاكرتي، فاستعرضنا جميع المخاطيط من مكان إلى آخر، فوصلنا إلى نتيجة حاسمة وهي أن نسخة الخزانة العامة بالرباط (المراقش) أصح النسخ، وأن نسخة الظاهرية أردأها نظرا إلى توافر السقطات وتوافر البياضات والأخطاء والحك والكشط والتحمير والتسويد والخرم والتشطيب والتقليم والتقنيب، والاقتضاب والانقطاع، وأما النسختان فكانتا مساعدتين للأصل إذا استعصى إدراك كلمة.

وبعد الانتهاء من هذا الأمر البدائي قد انعطفنا إلى استقاء المعلومات عن البقاعي فراجعنا معجم المؤلفين ومعجم المصنفين، وعندنا أربعة أجزاء من هذا الكتاب الكبير ولكني أرى العمل لقد توقف عند ذاك، والمعجم الأول –بالإضافة إلى الأعلام للزركلي وسير أعلام النبلاء للذهبي والضوء اللامع للسخاوي– لقد زودني بالمعلومات المطلوبة، إبان العمل على هذا الكتاب، والخطورة الكبرى في كتابة المخطوط معرفة التصحيف فإن

"حميل بينة" تتصحف بـ "جميل بثينة" "ولا يدخل الجنة قتات" يكون "ولا يدخل الجنة قباب" وروى السمعاني أن طالبا كان يقرأ على أستاذه ، وكان اسمه "القباب" فلما قرأ هذا الحديث "لا يدخل الجنة قتات" أي عياب وغياب قال "لا يدخل الجنة قتاب" فتغدمر الأستاذ (أي صاح غضبا) واستشاط، كحال المجنون والسكير عام هياط ومياط.

وخلال السير في الأفلاك، من هذا الكتاب المستطاب، وجدنا أن المؤلف ، وهو البقاعي، لقد أحال –علاوة على أمهات كتب الحديث الستة –مما لا يخفى عليكم البتة، على الكتب المرجعية في كثرة كاثرة، تجعل النفس حائرة مائرة، منها على سبيل المثال:

- تفسير الطبري المسمى بجامع البيان – راجع المجلد الأول من نظم الدرر ص: ٣.
- كتاب الوقف للإمام أبي بكر الأنباري –نفس الصفحة.
- شرح المهذب (آخر كتاب الغسل) لمحي الدين النواوي –نفس المرجع ص: ٤.
- تفسير ناصر الدين البيضاوي –نفس الصفحة.
- المعلم بالبرهان في ترتيب سور القرآن، للعلامة أبي جعفر – أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الأندلسي، ص: ٦.
- البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي المصري الشافعي –نفس الصفحة.
- سراج المريدين للقاضي أبي بكر ابن العربي –نفس الصفحة.
- كتاب العارف ولي الله محمد بن أحمد الملوي المنفلوطي الشافعي –ص: ٨.
- كتاب الإمام شمس الدين محمود الأصفهاني –ص: ٩.
- مفتاح الباب المقفل، لفهم القرآن المنزل، للإمام الرباني أبي الحسن علي بن أحمد بن الحسن التجيبي الحرالي –بمهملتين مفتوحتين ومدو تشديد اللام، المغربي –ص: ١٠.
- كتاب العروة لهذا المفتاح –نفس الصفحة.
- تفسير ابن النقيب الحنفي في نحو ستين مجلدا يذكر فيه المناسبات وفي خزانة جامع الحاكم كثير منه –نفس الصفحة.
- كتاب أبي الفضل محمد بن أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم المشدالي المغربي –ص: ١٧.
- تفسير العلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني الشافعي.
- النشر في القراءات العشر للعلامة شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن الجزري الدمشقي الشافعي –ص: ٦٠.

- المرشد الوجيز لأبي شامة عبد الرحمن بن إسماعيل الدمشقي الشافعي —ص: ٥٩.
- مصنف ابن أبي شيبة —نفس الصفحة.
- بدائع الفرائد لشمس الدين ابن قيم الجوزية —ص: ٧٣.
- البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي —ص: ٨٣.
- تلخيص سيرة ابن هشام —ص: ١٠٢.
- كتاب الحجة في تثبيت خبر الواحد لعمرو بن بحر الجاحظ.
- دلائل النبوة للبيهقي —ص: ٢٢٩.
- كتاب الزينة لأبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي —ص: ٢٢٤.
- المعارف لابن قتيبة: ٢٦٣ (في الهامش)
- ترجمة التوراة: نفس الصفحة.
- رشف النصائح الإيمانية: ٢٩٩ (شهاب الدين السهروردي)
- كتاب الأصفهاني في اللغة.
- كتاب الرماني النحوي: ٣٨٤.
- الكشاف للزمخشري: ٣٩٤.
- كتاب الكلبي ص: ٤٧٦، وأقوال الكلبي كلها في المحبر والمنمق والموشى لابن حبيب البغدادي، والأوسط لقد قمت أنا بتحقيقه.
- هذه المراجع في الجزء الأول "وكفى بنا حاسبين " في الأجزاء الأخر، ولولا سآمة التطويل وقفز مقالي في اليوم التالي لأسهبت.

تعتيق المخطوطات: هذه لعبة حديثة مع المخاطيط، فمثلا إذا كان تاريخ المخطوطة حديث عهد، فإن المهرة في الغش والتزييف يدفنون المخطوطة في متراكم من الرماد حتى يتغير اللون، ثم يطلقون فيما بين الأوراق بعض الحشرات الآكلة، ثم يضعون بين الصفحتين أوراق النيم وجناح الطواويس حتى تبدو المخطوطة الحديثة عتيقة، وهو في المصطلح اللاتيني: Aging، ومثل هذه الطبخة لقد شاهدت طبخها في حيدر آباد لإيقاع العرب في الإشراك والارتماء بهم في الفخوخ، أعاذنا الله من شنيع أعمالهم والصلاة والسلام على النبي الأمي.

***

من تاريخ الصحافة

إطلالة على ازدهار الصحافة العربية في الهند

بقلم: د. عرفات ظفر
جامعة لكناؤ - الهند

إن الصحافة ليست بفن مستحدث نشأ بنشأة المطبعة، بل هي قديمة قدم الدنيا. وذلك لأن الصحافة ضرورة من ضرورات المجتمع، شعرت بها الأجيال منذ زمن سحيق، فقد كانت الصحافة توجد قبل اختراع المطبعة في شكل لوحات كبيرة حجرية أو خشبية، تكتب عليها أهم الأنباء وأبرز الأحداث، وتعلق أو توضع في مجامع الناس أو أمكنة تجمهرهم. وأغلب الظن أنها بدأت بصورة الأوامر والنواهي والفرامين التي كانت الحكومات تذيعها عن طريق الولاة والحكام على الشعب أو عن طريق نقشها على الحجر. وعلى أية حال فقد أحدث اكتشاف المطبعة عام ١٤٣٦م على يد جوهان غوتن برغ الألماني (John Gutan Berg) ثورة في وسائل النشر والإعلام، حتى قيل إن الصحافة ثمرة من ثمرات المطبعة، ولو لم تكن الطباعة لما ظهرت الصحافة، فمع ظهور المطبعة بدأت الصحف والمجلات تظهر في أوربا على نطاق واسع.

ظهور المطبعة في الهند

وأما فيما يتعلق بظهور المطبعة في الهند فقد عرفت الهند المطابع أولا في عهد الشركة الهندية الشرقية (East India Company) التي أنشأها البريطانيون في الهند، وأسست هذه المطابع في أكثر المدن الرئيسية للبلاد. وبدأت الصحف والجرائد تصدر منها، وكانت "هيكي جازيت" (Hicky's Gazette) أول دورية مطبوعة في تاريخ الصحافة الحديثة في الهند أصدرها السيد جيمس أوغسطس هيكي (James Augustus Hicky) بالإنجليزية في يناير عام ١٧٨٠م من مدينة كولكاتا. كما يقول أحد مؤرخي الصحافة الحديثة في الهند بهذا الخصوص:

"ولكن الحقيقة هي أن فن الطباعة تطور تطورا ملحوظا بفضل شركة الهند الشرقية التي أنشأها البريطانيون في الهند. ففي عام ١٧٧٢م أسست مطبعة في مدراس، كبرى مدن جنوب الهند (شينائي حاليا)، وفي عام ١٧٧٩ أنشئت مطبعة في مدينة كلكتا (كولكاتا حاليا) والتي كان تشارلس ولكنس (Charles Wilkins) يقوم بالإشراف عليها، وفي العام نفسه وفي المدينة نفسها أنشئت مطبعة أخرى والتي كان يملكها هيكي، الذي نشر أول صحيفة بالإنجليزية في الهند[1]"

ثم تأسست المطابع في مومبائي ودلهي والمدن الأخرى للبلاد وتتابعت دوريات وجرائد مطبوعة فيها. وعلى مر الأيام دخلت في تلك المطابع تحسنات وتطورات، فبدأت فيها الطباعة باللغات المحلية ومنها الفارسية والأردية والعربية. ومن المعلوم أن اللغة الفارسية كانت اللغة الرسمية للبلاد قبل حكومة الإنجليز كما أنها كانت لغة المسلمين والهندوس على السواء حينذاك. ولذلك نجد أن أول جريدة فارسية في الهند أصدرها عالم هندوسي ومصلح كبير يدعى "راجا رام موهن راي" (١٧٧٢-١٨٣٣م) باسم "مرآة الأخبار" في أبريل ١٨٢٢م التي يعتبرها الباحثون أول جريدة مطبوعة باللغة الفارسية في الهند كلها، ومن الجدير بالذكر أن الأستاذ راجا رام موهن راي كان ملما باللغات العربية والفارسية والإنجليزية. وفي غضون ١٨٨٢م صدرت جريدة أسبوعية في اللغة الأردية باسم "جام جهان نما" من مدينة كولكاتا وهي تعد أول جريدة مطبوعة باللغة الأردية. فكان لهذه المطابع أثر كبير على الحياة الفكرية والثقافية للبلاد، كما أنها مهدت الطريق لتطور الصحافة الحديثة في الهند.

بداية الصحافة العربية في الهند

وأما الصحافة العربية فلم تظهر في شبه القارة الهندية إلا بعد ظهور الصحافة في اللغات الإنجليزية والفارسية والأردية، وذلك لأن اللغة العربية لم تكن لغة التخاطب والتفاهم فيما بين الناس كما أنها لم تتمتع بدرجة لغة رسمية في الهند أبدا، فلم تلق قبولا ورواجا مثل الفارسية لدى عامة الشعب. وكان المسلمون يرونها مفتاحا لكنوز الكتاب والسنة، ويتعلمونها كوسيلة لفهم الشريعة الإسلامية، فلم تكن اللغة العربية وآدابها بالذات موضع اهتمام العلماء الهنود

[1] الصحافة العربية في الهند، نشأتها وتطورها، للدكتور أيوب تاج الدين الندوي ص ٦٣.

قط، فأدت هذه كلها إلى نكسة في تطور الآداب العربية وانتشار الصحافة العربية في ربوع الهند. كما يقول أحد الباحثين في هذا الصدد:

"وبما أن اللغة العربية لم تكن لغة التفاهم لأبناء البلاد، ولم تكن توجد لهم روابط ثقافية مباشرة بالبلاد العربية لوعورة الطريق وبعد المسافة، فإنها لذلك انحصرت في الأوساط العلمية فقط. وكان يتمكن فيها عدد قليل يقدر على التعبير بها حوارا وكتابة مع أن معظمهم يقدر على قراءة الكتابات العربية وفهمها. وهكذا أصبحت اللغة العربية غير نشيطة في هذه الربوع[٢]"

وبالرغم من هذه السلبيات أتقن البعض من علماء الهند اللغة العربية وأجادوها إلى حد أنهم ألفوا كتبا قيمة وخلفوا مؤلفات رائعة في هذه اللغة بأسلوب فصيح رائق سلسال حتى اعترف العلماء العرب بقيمتها وأهميتها.

النفع العظيم لأهل هذا الإقليم: ومن الأهمية بالمكان أن نذكر أن الطباعة العربية ظهرت في الهند مع الطباعة الفارسية والأردية، ولكنها في البداية كانت محصورة على طباعة الكتب الدينية. فلما عمت الطباعة في الهند وبدأت الصحف والمجلات تطبع في لغات هندية شتى قام بعض أولي العزائم والهمم وأصدروا جريدة باللغة العربية أيضا باسم "النفع العظيم لأهل هذا الإقليم"، فهذه أول جريدة عربية صدرت في تاريخ شبه القارة الهندية من مدينة لاهور أنشأها الأستاذ شمس الدين، وصدر أول عدد لهذه الجريدة الأسبوعية في ١٧ أكتوبر عام ١٨٧١م، تولى مسئولية تحريرها الشيخ مقرب علي وأشرف عليها جي دبليو لايثير (G. W. Laithir) المسجل بجامعة بنجاب.

وفي بادئ ذي بدء كانت تصدر هذه الجريدة في ثماني صفحات، ثم بلغ عدد صفحاتها إلى عشر، وكانت تطبع على المطابع الحجرية. وكانت تنشر فيها مقالات حول موضوعات دينية وأدبية واجتماعية وما إلى ذلك من المواضيع التي كانت تبحث في متطلبات العصر وحاجة عامة الناس. وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه الجريدة كانت تؤيد أفكار السير سيد أحمد

---

[٢] رسالة الماجستير "الصحافة الإسلامية في الهند، تاريخها وتطورها، لسليم الرحمن خان الموجودة في مكتبة شبلي النعماني، ندوة العلماء، لكناؤ، ص ٩٤.

خان التعليمية والإصلاحية وقامت بدور لا يستهان به في إنجاح حركته التعليمية، وبالإضافة إلى ذلک كانت هذه الجريدة تولي اهتماما خاصا بنشر مقالات حول موضوعات جديدة في اللغة العربية، كما أنها كانت تهتم بنشر التراث الأدبي من الشعر العربي القديم وأحوال فحول الشعراء.

وظلت هذه الجريدة تصدر بانتظام حتى عام ١٨٨٥م ولكنها توقفت بعد وفاة صاحب المطبعة الذي كان والدمنشئ هذه الجريدة[٣].

إن جريدة "النفع العظيم لأهل هذا الإقليم" كانت تجربة أولى للصحافة العربية في شبه القارة الهندية، ومن هنا كانت وسيلة أولى ووحيدة للاتصال الصحفي والثقافي بين الهنود والعرب، لأنها كانت تخبر العرب عما كان يجري من أحداث ووقائع في بلاد الهند، وبالعكس كانت تخبر المسلمين الهنود عما كان يجري في البلدان العربية. وهكذا إنها لعبت دورا مهما في خدمة اللغة العربية وتطوير الصحافة العربية في الهند. وقد ألقى الأستاذ الدكتور أيوب تاج الدين الندوي الضوء على أهمية هذه الجريدة وخدماتها بالكلمات التالية:

"تعتبر جريدة "النفع العظيم لأهل هذا الإقليم" من أهم الجرائد العربية في الصحافة الهندية قديما، حيث قامت بخدمات واسعة في نشر تعليم اللغة العربية والتعريف بالأدب العربي الحديث والأدب الغربي، كما أطلعت مسلمي الهند على أخبار العرب السياسية والثقافية والاجتماعية في الوقت الذي كانت أو كادت الهند منقطعة فيه تماما عن البلاد العربية. وكانت على مستوى عال في الطباعة والإخراج الفني بالنظر إلى مستوى الطباعة والصحافة في ذلک العصر، كما كانت تتسم بالأسلوب الجيد وعرض الموضوع وتحليله بطريقة علمية. وقامت بدور هام في تطوير الصحافة العربية في الهند والتي تطورت بسرعة فائقة حيث نجد اليوم عددا ضخما من المجلات والجرائد العربية في شبه القارة الهندية، لا يقل عن الصحافة العربية في البلاد العربية من حيث أهمية المقالات التي تنشر والأسلوب

[٣] المصدر السابق، ص٩٤–٩٧.

الأدبي الصحفي والإخراج الفني. فكانت جريدة "النفع العظيم لأهل هذا الإقليم" بمثابة اللبنة الأولى التي قامت عليها وارتفعت الصحافة العربية بالهند[٤]"

فلا شك في أنها أول جريدة عربية طلعت في آفاق الصحافة الهندية على مدى تاريخها، كما أن الصحافة العربية في الهند مدينة لهذه الجريدة في نشأتها وتطورها لكونها اللبنة الأولى في هذا المجال.

شفاء الصدور: وبعد هذه الجريدة صدرت جريدة "شفاء الصدور" الشهرية من مدينة لاهور نفسها، وكانت هذه الجريدة من المجلات والجرائد الرئدة في الصحافة العربية في الهند، وتمتاز في تاريخ الصحافة الهندية بكونها الجريدة الثانية باللغة العربية. وكانت جريدة "شفاء الصدور" جريدة علمية وأدبية أصدرتها كلية العلوم الشرقية بمدينة لاهور، وكانت تطبع في مطبعة "انجمن بنجاب" بلاهور، وتولى مسئولية تحريرها الشيخ العلامة فيض الحسن السهارنفوري الذي كان من نوابغ اللغة العربية وآدابها في الهند خلال القرن التاسع عشر الميلادي، وصدر أول عدد لهذه الجريدة في عام ١٨٧٥م واستمر صدورها حتى عام ١٨٧٧م، وكانت تطبع في ثماني صفحات كبيرة.

وكان من أكبر اهتمام هذه الجريدة ومسؤوليها نشر تعليم اللغة العربية في طلاب الكلية الشرقية بلاهور خاصة وفي طلاب الدراسات العربية في كل مكان على وجه العموم، ولذلك نجد أن الجريدة كانت تهتم بشرح فنون الأدب العربي نثرا وشعرا. وأما بالنسبة للموضوعات الأخرى فلم يكن فيها من السياسة إلا قليل. أما بالنسبة للقضايا الاجتماعية والشئون الدينية والأدبية فحدث عن البحر ولاحرج. وبما أن الجريدة كانت تهتم على وجه الخصوص بطلاب اللغة العربية فإنها كانت أداة تدريبهم على الإنشاء والكتابة باللغة العربية، كما أن هذه المجلة خلقت الوعي السياسي لدى الطلاب، والمعرفة الطيبة بالأحوال الاجتماعية السائدة إضافة إلى تنمية الذوق الصحفي في أذهان هؤلاء الطلاب. والجدير بالذكر هنا أن سياسة هذه الجريدة تجاه السير سيد أحمد خان وحركته التعليمية لم تكن موافقة ومؤيدة له، وذلك لأن

---

[٤] الصحافة العربية في الهند، للدكتور أيوب تاج الدين الندوي، ص٨٥–٨٦.

الشيخ فيض الحسن السهارنفوري لم يكن يؤيد سيد أحمد خان بسبب آرائه الشاذة في تفسير القرآن الكريم[٥].

وبناء على هذه الميزات والخصائص تعتبر جريدة "شفاء الصدور" من أهم المعالم في بناء صرح الصحافة العربية في شبه القارة الهندية.

الرياض: وبعد هاتين الجريدتين صدرت في الهند جريدة ثالثة باللغة العربية باسم "الرياض" ولكن لا تتوافر أعداد هذه الجريدة في مكتبات الهند بوجه عام، فلا نعلم بالتأكيد عن وقت صدورها واحتجابها، وأنها لم ترزق الحياة إلا لمدة قليلة. وقد أخبرنا عن هذه الجريدة العلامة سيد سليمان الندوي في افتتاحية العدد الأول لمجلة الضياء، فهو يقول:

"فكان أحد سلفنا – رحمه الله – أصدر جريدة "الرياض" فظهرت وزهرت ثم تقلبت بها الرياح فأصابها إعصار من نار الفقر فاحترقت، وتلتها مجلة البيان ...... وغيرها من الصحف العربية....[٦]"

فهذا يفيد بأنه كانت هناك جريدة عربية صدرت باسم "الرياض" قبل فترة وجيزة من صدور مجلة "البيان"، إلا أنها احتجبت عن الصدور لأسباب مالية.

مجلة البيان: وبعد هذه الجرائد نجد مجلة مهمة في تاريخ الصحافة العربية بالهند باسم "البيان" وهي مجلة شهرية صدرت باللغة العربية من مدينة لكناؤ، وصدر أول عدد لها في ٢٠ ذي الحجة ١٣٩١هـ الموافق مارس ١٩٠٢م. وكانت من أهم الجرائد والمجلات التي صدرت في العهد البدائي للصحافة العربية في الهند، ونالت شهرة كبيرة في الهند وخارجها. أنشأها الأستاذ عبد الله العمادي الذي كان من كبار العلماء والكتاب والمترجمين في الهند، وله مؤلفات قيمة عديدة في مختلف العلوم والفنون، وقد جعلها صحيفة علمية سياسية أخبارية تاريخية، وأشرف عليها الشيخ الفاضل عبد العلي المدراسي، وبعد مدة من الزمن أشرف عليها

---

[٥] مجلة ثقافة الهند، ج ٦٠، عدد ١، عام ٢٠٠٩، ص ٧٧—٧٨.

[٦] افتتاحية العدد الأول لمجلة الضياء، مايو ١٩٣٢م، نقلا عن الصحافة العربية: نشأتها وتطورها، للشيخ سعيد الأعظمي الندوي ص ٥٥.

المستشرق الألماني الدكتور جوزيف هوروفتس (Joseph Horovits) أستاذ اللغات الشرقية في كلية علي كره الإسلامية.

وكانت المجلة شهرية في البداية، ثم أصبحت نصف شهرية، وكانت تصدر باللغتين العربية والأردية، وكان عددها الأول يحتوي على ٤٤ صفحة. وأول عمود لهذه المجلة كان بعنوان "هذا بيان للناس" وكان يشتمل على تفسير بعض الآيات القرآنية ثم يليه عمود أخبار العالم الإسلامي وغيره، ثم قسم البحوث، وبعده قسم التقريظ على الكتب المطبوعة حديثا، وفي الأخير يكون باب سير وتراجم كبار الشخصيات الهندية.

وقد كتب الأستاذ عبدالله العمادي عن بعض أهداف هذه المجلة قائلا: "إن الخطة التي تسلكها "البيان" هي خدمة اللغة العربية وتوطيد دعائمها بالديار الهندية وتحصيل الاتفاق بها بين الهند والعرب. وقد صبغناها بصبغة علمية كما وشيناها بطراز من اللطائف العمومية. فهذا يشحذ الذهن عن الكلال، وذلك يرضح الخاطر عن الملال. يذكر أنواع المكارم والنهى ويأمر بالإحسان والبر والتقى، وينهى عن الطغيان والشر والأذى[٧]"

وقد تحدث الأستاذ سليم الرحمن خان عن هذه المجلة ودورها في مجال الصحافة العربية بالهند بالكلمات التالية:

"ونالت "البيان" تقبلا في الأوساط العلمية بالهند، وأشاد بها العلماء الذين اطلعوا عليها في البلاد العربية، وتربى عليها جيل كامل في تعلم الأسلوب العربي الحديث، وتدرب على التعبير باللغة العربية. وكانت في عصرها همزة وصل وحيدة بين الهند والبلاد العربية الإسلامية، فإن "البيان" بعد انقطاع "النفع العظيم لأهل هذا الإقليم"كانت السفير الأول للمسلمين الهنود بالبلاد العربية. ولا يشك في أن البيان أدت خدمة جليلة لأولئك الذين كانوا يعرفون اللغة العربية بالهند، ولا يجدون لهم مجالا للتمرين على الإنشاء والكتابة بها وتشحيذ كفاءاتهم، فإن هذه المجلة فتحت لهم مجالا وهيأت لهم ميدانا لذلك[٨]"

---

[٧] مجلة البيان، ابريل ١٩٠٤م.

[٨] الصحافة الإسلامية في الهند (رسالة الماجستير) لسليم الرحمن خان، ص ٣٠٧.

ويجدر بالذكر هنا أن كبار الشخصيات لذلك العصر من أمثال السيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده وشبلي النعماني ومحمد كامل أفندي الطرابلسي والسيد علي الزيني وسيد سليمان الندوي وأنيسة اللبنانية وعبد الرزاق المليح آبادي كانت تساهم بنتاجها العلمي وحصادها الفكري في هذه المجلة. كما أن مجلة البيان أول مجلة عربية-هندية لفتت أنظار الكتاب والصحفيين العرب إليها بمحتوياتها ومنشوراتها وبقوة بيان صاحبها، فأشادت بها الجرائد والمجلات الموقرة في العالم العربي إشادة موفورة، منها جريدة "طرابلس" اللبنانية، وجريدة "اللواء" اليومية المصرية، وجريدة "الحاضرة الزاهرة" التونسية وغيرها.

مجلة الجامعة: عندما ثار الشريف حسين بن علي، حاكم إقليم الحجاز آنذاك، على الخلافة العثمانية التركية على تشجيع من الحكومة البريطانية، واستقل بحكم الحجاز وتربع على عرشه كملك أصبح مولانا أبو الكلام آزاد مضطرب البال ومشوش الفكر، وعقد العزم على إصدار مجلة بالعربية باسم "الجامعة" للتأثير على أفكار العرب ولكشف النقاب عن مكائد الإنجليز ضد الإسلام والمسلمين، وللفت انتباه المسلمين في العالم إلى الأضرار والخسائر التي لحقت بهم بسبب ابتعادهم عن التضامن الإسلامي ولتعارف مسلمي الهند بإخوانهم العرب.

أصدرها مولانا أبو الكلام آزاد كمجلة نصف شهرية من مدينة كولكاتا في أبريل عام ١٩٢٣م وجعلها لسان حال جمعية الخلافة المركزية التي كانت تقوم بالإنفاق عليها. وكان يشرف عليها مولانا آزاد بنفسه، وفوض إدارة تحريرها إلى الشيخ عبد الرزق المليح آبادي. وكان من الأهداف الرئيسية من إنشاء هذه المجلة مساندة الخلافة العثمانية ومعارضة سلطة الشريف حسين الذي كان حليفا للحكومة البريطانية، واتحاد جميع المسلمين بصفة خاصة وجميع الأمم الشرقية بوجه عام، وتعريف المسلمين الهنود بالبلاد العربية والإسلامية والحصول على الحرية السياسية والفكرية. ومن أهدافها كذلك توجيه الأمم الشرقية إلى إصلاح أحوالهم. وفي الحقيقة أراد مولانا آزاد بهذه المجلة أن تكون منصة لتبادل الآراء والأفكار بين القادة والزعماء والمفكرين المسلمين المتواجدين في أقاصي الأرض وأدانيها، لكي يتمكن المسلمون في كل مكان من التوحد بدلا من التشتت الذي أصابهم، ولكي يكونوا

كالبنيان المرصوص يشد بعضهم بعضا، لاتهزمهم قوة في العالم، ولكي يكون لكلمتهم وزن وقيمة لدى الأمم الأخرى[٩].

وكانت "الجامعة" أيضا مثل المجلات العربية السابقة في الهند تهدف إلى نشر اللغة العربية وتوطيد دعائمها في الديار الهندية، كما أنها قامت بدور كبير في إحياء العلوم العربية والثقافة الإسلامية عن طريق نشر المقالات الدينية والعلمية والثقافية لعلماء ذلك العهد. وبالرغم من ذلك لم يمتد عمرها أكثر من عام واحد بالنظر إلى العوائق السياسية التي كانت أكبر سبب في توقفها عن الصدور ومن ذلك موقفها تجاه الشريف حسين والحكومة الإنجليزية الذي أثار حفيظة الشريف حسين وغيظ الحكومة الإنجليزية ضد المجلة ومؤسسها، كما أن الوضع المالي أيضا كان أحد الأسباب في قصر عمرها وهكذا احتجبت هذه المجلة عن الصدور في مارس ١٩٢٤م.

والجدير بالذكر هنا أن الشريف حسين كان يجد مقالات مجلة الجامعة مريرة للغاية فكان يخالفها من خلال مجلته الحكومية "القبلة" ويسبها ويستهزئ بمؤسسها مولانا آزاد[١٠].

وتعتبر هذه المجلة مصدرا مهما للمعلومات عن الأوضاع السياسية لذلك الوقت عام ١٩٢٣-١٩٢٤م في الهند والعالم الإسلامي وخاصة في تركيا والحجاز. ومن ثم عرف الناس أن الشعب الهندي يتطلع إلى الاستقلال من الاستعمار الإنجليزي، وعرفوا أن حركة الخلافة ظهرت في بلاد الهند لتحريرها من المستعمرين ولإنشاء الخلافة الإسلامية من جديد، فهي بمثابة مصدر تاريخي وسياسي في آن واحد.

وهكذا نالت مجلة الجامعة صيتا واسعا بين السياسيين الهنود والعرب، فقد تأثر بمقالات المجلة ومنشوراتها عدد كبير من النفوس في البلاد العربية والإسلامية، وهذا واضح من تلك الرسائل التي كانت تستلمها المجلة وتطبعها في صفحاتها بين حين وآخر.

---

[٩] الصحافة العربية في الهند، للدكتور أيوب تاج الدين الندوي، ص١٠٤.

[١٠] المصدر السابق، ص١٠٦.

مجلة الضياء: "الضياء" مجلة عربية شهرية بارزة طلعت على سماء الصحافة العربية في الهند، صدرت هذه المجلة في شهر محرم الحرام ١٣٥١هـ الموافق مايو ١٩٣٢م من مدينة لكناؤ، تولى إدارتها الكاتب الإسلامي الشيخ مسعود عالم الندوي وأشرف عليها الأستاذان الجليلان العلامة سيد سليمان الندوي والشيخ تقي الدين الهلالي المغربي الذي حقا يُعد رائد النهضة الأدبية العربية في بلاد الهند، والذي تدرب على يده جماعة من العلماء والأدباء والكتاب باللغة العربية أثناء مكوثه في ندوة العلماء لكناؤ بالهند.

كانت مجلة "الضياء" مجلة علمية أدبية تعليمية، وكانت تصدر في منتصف كل شهر عربي، ولهذه المجلة أثر بالغ في تنشيط الحركة الصحفية باللغة العربية وترسيخ جذورها في شبه القارة الهندية، لأنها أحدثت ثورة فكرية في الدوائر العربية والإسلامية في الهند، وبها بلغت الصحافة العربية في الهند أوجها وقمتها، وفي الحقيقة إنها كانت نقطة انطلاق لتطور الصحافة العربية وازدهارها في الهند، حيث تصدر الآن حوالي خمسين دورية —صغيرة وكبيرة- باللغة العربية، والفضل في كل ذلك يرجع إلى مجلة الضياء.

والجدير بالذكر أن الضياء ظهرت في عصر كانت فيه اللغة العربية بالهند تعاني من الجمود والركود وكانت الكتابة العربية تتسم بالزخارف اللفظية والمحسنات البديعية، فقامت الضياء بإحياء اللغة العربية في الهند وأعادت إليها النشاط والحيوية واستخدمتها لأغراض علمية وأدبية. صدرت هذه المجلة وبلغت إلى مستوى عال حتى نالت إعجاب الصحفيين والمثقفين في الهند وخارجها وخاصة في البلاد العربية، لأن الضياء كانت ترجمانا وحيدا لمسلمي الهند لدى إخوانهم العرب في ذلك الحين، فأشاد بها كثير من كبار الشخصيات والعلماء والمفكرين من البلدان العربية، ونوهت بها عدد من الجرائد والمجلات العربية، فننقل فيما يلي بعض المقتطفات منها:

فقد كتبت عنها جريدة "الصفاء" اللبنانية: "في مدينة لكناؤ مجلة عربية اسمها الضياء ينشرها الأستاذ المفضال السيد مسعود عالم الندوي مطبوعة على الحجر مشتملة من البحوث

الإسلامية على كل مفيد، وليس في الهند مجلة ولا جريدة عربية اللغة سواها. هي أصح لغة وأروع أسلوبا من أكثر الجرائد والمجلات التي تنشر في الأقطار العربية[١١]".

وذكرتها مجلة "العرفان" بهذه الكلمات: "دخلت مجلة "الضياء" الهندية في سنتها الرابعة وهي تحمل مشعال الضياء والهداية وتنشر المواضيع النافعة، ولولا طبعها الحجري وهو غير مألوف اليوم لعددناها في طليعة مجلاتنا العربية الراقية، إنها في قطر عجمي[١٢]".

وأضافت المجلة نفسها قائلة عن الضياء: "مجلة علمية أدبية تعليمية اجتماعية شهرية تصدر في منتصف كل شهر لمنشئها مسعود عالم الندوي، الذي هو من أفاضل المنورين، وهي من المجلات الراقية، المواضيع فصيحة والتعبير بليغ، نتمنى لها التوفيق والازدهار[١٣]".

ومن المؤسف جدا أن مجلة الضياء انقطعت عن الصدور بعد أربع سنوات بسبب الظروف الاقتصادية القاسية، إلا أنها تركت أثرها البالغ على عقول مسلمي الهند بمقالاتها العلمية القيمة كما جلبت للمساهمين فيها السمعة والشهرة في البلاد العربية لاهتمامهم باللغة العربية وآدابها، وتقدمت بها مسيرة الصحافة العربية في الهند تقدما ملموسا.

فالصحافة العربية التي بدأت رحلتها منذ صدور "النفع العظيم لأهل هذا الإقليم في عام ١٨٧١م بلغت أوجها بصدور الضياء في عام ١٩٣٢م، وبذلك انتهى العهد البدائي للصحافة العربية في الهند، ومن هنا يبدأ عصر التطور والازدهار في مجال الصحافة العربية في الهند. وفي السطور التالية نستعرض مسيرة الصحافة العربية لهذا العصر، ونقدم أهم مجلات هذه الفترة مع ذكر أهدافها وخصائصها البارزة.

(يتبع)

***

---

[١١] مجلة الضياء ج٤، عدد ٨، شعبان ١٣٥٤هـ.
[١٢] المصدر السابق.
[١٣] مجلة الضياء، عدد ذي الحجة ١٣٥١هـ.

الأدب العربي الحديث بين التأثير والتأثر

الدكتور/جمال الدين الفاروقي
كلية WMO، ويناد، كيرالا

معلوم لدينا أن الأدب بمختلف أنواعه وليد الظروف التي يعيشها البشر. والأدب الذي يواكب مراحل الحياة البشرية بطبيعة حاله يؤثر في غيره ويتأثر بغيره، لأن الحياة والأدب توأمان لا ينفصلان كما قال به ميخائيل نعيمة [1]. وهذه العملية قائمة مستمرة منذ أن وجدت الحياة فوق الأرض. وهي لم تكن شيئا يلام عليه، إلا أنها في الأيام الراهنة صارت نقطة ذات أهمية بالغة، وخصوصا في ضوء المستجدات العالمية التي تحدث في كل لحظة ولم يلبث أن تتجاوب أصداؤها أرجاء المعمورة. ودراسة ظاهرة التأثير والتأثر تأتي جزءا من الأدب المقارن الذي يتناولها بصورة علمية مدروسة. ويأتي بحثنا هذا استعراضا لهذه الظاهرة: كيف يكون هذا التأثير والتأثر، وإلى أي مدى يجوز ذلك، وما هي الحيثيات التي تعتبر في هذه العملية.

وينبغي أن يهتم بالسياق التاريخي والفكري والاجتماعي بصدد التأثير والتأثر، لأن هذا العنصر يختلف تماما من واحد لآخر، وفي بعض الأحيان يكون العنصر التاريخي في الأدب الواحد أقوى ظهورا وأكثر نفوذا من غيره، كما هو شأن الآداب اليونانية القديمة — الذي من شأنه يكون له التغلب والهيمنة على غيره، وحاليا صارت قضية الأدب تحوم بين مفهومين: الزخم الإعلامي الوافد والواقع العربي المعقد. وكان للأدب العربي القديم سيطرة على القلوب وتأثير في الشعوب، وهو في تلك الأيام كان عاملا مؤثرا في الشؤون الفكرية والاجتماعية، ولم يشهد الأدب العربي وقتئذ أبعاد التأثر قدر ما يشهده اليوم، كما أن الأدباء القدماء كانوا غيورين على اللغة العربية وآدابها، مرة حدثت مناظرة بين متى بن يونس والسيرافي، وكان الأول يتفاخر بالمنطق اليوناني، وقال إن العرب ما أنتجوا منطقا كاليونان، ورد عليه السيرافي قائلا: "جهلت فليس المنطق إلا نحوا، إلا أنه مسلوخ من العقل، وليس

---

[1] ميخائيل نعيمة، الغربال ص٣٤.

النحو إلا منطقا إلا أنه مسلوخ من اللغة. وسأسألك عن حرف الواو، وأدلك على أسراره واستخدامه، فأين منطق أرسطو من النحو العربي".

وقد كانت الأعمال الأدبية القديمة ذات أثر كبير في توجيه الأدباء الغرب، فقد انتهجوا مناهج الشرق، مثل ما فعل فيكو الإيطالي الذي تأثر بأفكار ابن خلدون في أبحاثه الاجتماعية ووضع كتابه على منوال مقدمة ابن خلدون، كما تأثر دانتي بأفكار أبي العلاء المعري التي تتمثل في عمله الرائع رسالة الغفران، ووضع دانتي في مقابله كتابه الفكاهات الإلهية (Devine Comedies)، ومثل ما فعل لامرتين في كتابه Voyage en orient، متأثرا بالمتنبي والبحتري، وكتاب البخلاء لصاحبه الجاحظ صار هو الآخر محل الاهتمام والتأثير لدى الغرب قبل هذا، ومسرحية البخيل لموليير توضح مدى تأثر صاحبه بكتاب البخلاء.

وفي ضوء المستجدات الحديثة التي شهدها العالم المعاصر والتي تولدت من الوعي الاجتماعي والثقافي والفكري المتطور، وظهور وسائل الاتصال الجماهيرية، صار الأدب العربي معرضا للتأثر بالغير أكثر من تأثيره في غيره. وتوسع نطاق الأدب بفضل هذا التأثر حتى أصبحت تحتوي على فنون أخرى، مثل الرواية بمفهومها المعاصر. وهي دخيلة على الأدب العربي بفضل هذا التأثر، وهي في الأصل فن غربي ارتبط بالتحولات التي عاشتها المجتمعات الأوربية. ويجدر بنا أن نستعرض بهذا الصدد نتائج هذا التأثر، هل استفادت اللغة العربية وآدابها أم خسرت ما في يدها؟ والباحثون يقدمون بعض عناصر التغيير والتأثير بين الآداب، وهو كما يلي:

١– مجموعة التغيرات الحضارية بما فيه التغيرات التاريخية والاجتماعية والنفسية والقومية.

٢ – مجموعة التغيرات المتعلقة بموقف الكاتب أو المبدع من تراثه النصي ووعيه بهويته وهوية النص الذي يبدعه.

٣–مجموعة التغيرات المتعلقة بطبعية الاستراتيجيات والتقنيات.

وفي معرض الكلام عن التأثر والتأثير يجب الإشارة إلى موقف الغرب من الأفكار الشرقية وبالعكس، وهذه القضية كما يشير إليه الكاتب المفكر المشهور إدوارد سعيد صارت نتيجة لصراع عنيف بين هاتين المدرستين الفكريتين. يقول سعيد: إن الغرب استهدف الشرق لاحتلاله واستغلاله في أنانية، فلم تكن رسالتهم حضارية إنسانية تجاه الشرق، ومع

ذلك إنهم استوعبوا ما عند الشرق من التراث وعملوا على اكتشاف تاريخ الشرق الفكري والعقائدي ليحكموا قبضتهم عليهم. ويمكن القول إن الهيمنة الغربية على الآداب الشرقية وإبداعاتهم جاءت من أجل تساهل الشرق وتهاونهم وغياب فعاليتهم في المسرح الاجتماعي والعالمي. ولم يعودوا يقدرون لإقناع العالم برصيدهم الفكري والثقافي. ومصطلح الاستشراق المتكرر في مثل هذا السياق يهدف إلى القيام بحملة قوية ضارية ضد التصورات الذهنية العربية علما بأن معرفة الغرب بالآداب الشرقية لم تنطلق فقط من الهيمنة والمواجهة، بل وأكثر من ذلك وهي تنطلق من كراهيتهم إياهم وتأففهم بهم.

عوامل التأثر:

وقد أشار الباحثون إلى عوامل تأثر الجيل المعاصر، وذلك منذ أوائل الستينات من القرن الماضي، جاءت مجموعة من المثقفين ممن تخرجوا من المدارس والجامعات الحديثة، ولكن زادهم الثقافي محدد، وكانوا يتأففون من التراث القديم ورجاله من أمثال الجاحظ والمبرد والأصفهاني، وأعلنوا القطيعة كاملة أو شبه كاملة مع التراث، وتأثروا بالترجمات التي كانت تنقل عبر اللغتين أو أكثر، وهذه المترجمات لعبت دورا كبيرا في تغيير العقلية العربية، فالذي يطالع مترجمات سارتر فهو بدون شك يميل إلى الوجودية. وقد وسع نطاق هذا التأثر بعد الحرب العالمية الثانية حيث بدأت فكرة التجديد في أسلوب الأعمال الأدبية وصناعتها. والرابطة القلمية كانت تنعى على قصور الآداب العربية وعجزها عن مواكبة الحضارة الحديثة مما جعلهم يتسارعون وراء المؤثرات الخارجية الغربية، وهم يقولون: لسوء حظنا إن آدابنا العربية قصرت عن مجاراة الحياة لأجيال كثيرة، فكان نصيبها الجمود والخمود، فآدابنا ليست إلا جثة بلا روح، لأنها تحاول تقليد القدماء.[١]

ويشير الكاتب الشهير خيري الذهبي إلى الأحوال والظروف التي أدت إلى اللجوء إلى ما عند الغرب، فيقول: إن الحضارة العربية الإسلامية هي حضارة توقفت عن العطاء الروحي والفكري منذ القرن الرابع الهجري، وإن كل ما عاشته من بعدها كانت تناسخات، هي لا تفعل إلا أن تنسخ ما فعل الآباء والأجداد.[٢]

---

[١] مجلة الهلال، نيورك ١٩٣١.

[٢] الرواية العربية—ممكنات السرد ص ٢٠٤.

ويوجد في السياق الفكري الذي يؤثر في الأدب اتصالات فردية مباشرة مثل ما حدث في شأن رفاعة الطهطاوي ومحمد حسين هيكل وتوفيق الحكيم، وقد ذهب كل واحد منهم إلى أوروبا للدراسة العلم لا الأدب، ولكن كانت لهم طريقتهم الشخصية في التفاعل مع الأدب والفكر الأوروبي ليكونوا محل إعجاب وتقدير في الأدب العربي. إذ يعتبر الطهطاوي أبا للنهضة الأدبية العربية، كما يتميز محمد حسين هيكل بصناعة أول رواية فنية عربية، وكما أصبح توفيق الحكيم واحدا من أبرز مؤسسي المسرح العربي. والمدرسة المهجرية تبقى هي الأخرى مثالا للتجارب الفردية للتأثير والتأثر. ومعلوم أن هذه المدرسة ازدهرت في أمريكا في نهاية القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، ويشكل أصحابها ظاهرة فريدة في الأدب العربي، منهم جبران خليل جبران، وميخائيل نعيمة وإيليا أبو ماضي ورشيد سليم الخوري وغيرهم كثير، ممن تأثروا بالفكر الجديد ونقلوا إلى الأدب العربي أصداء أدبائه من أمثال لونغفلو، وثورو، وإمرسون، وويتمان، وردزورث وبليك.

وظاهرة التأثر تبدوا في صورة الحداثة التي يتهافت عليها الأدباء والروائيون. وهذه الظاهرة رغم أنها شجعت التعددية والنسبوية في الثقافة، إلا أنها في الحقيقة ثورة على كل شيء. واحتدمت المعركة بين الحداثيين والمحافظين، بين دعاة الخروج إلى ملامح الحضارة وبين رعاة الأصالة القديمة التي وجدوا فيها هويتهم ووجودهم. فالحداثة تنطلق بكل أبعادها من خصوصيتها الثقافية المتصلة بالسياق الغربي، كما أن فيها مظاهر التمرد على المقدسات، وهناك مصادفة أن صار معظم الدعاة إلى الحداثة في بلادنا يساريين وماركسيين، كما أن هناك من أنصفوا في موقفهم تجاه هذه القضية ومنهم الأديب جبران وهو ممن يهتفون للتغريب، إلا أنه كان يعترف بالواقع ويقول: "قلد الغرب الشرق بحيث مضغ وحوّل الصالح واقتبسه إلى كيانه، أما الشرق فإنه اليوم يقلد الغرب فيتناول ما يطبخه الغربيون ويبتلعه دون أن يحوله إلى كيانه، بل إنه على العكس يحول كيانه إلى كيان غربي، فيبدو أشبه بشيخ هرم فقدَ أضراسه أو بطفل لا أضراس له".

سلبيات هذا التأثر:

ولا شك أن ظاهرة التأثر تركت سلبيات هائلة في ساحة الأدب العربي، إذ نرى العديد من الأدباء يقفون بآثارهم الأدبية موقف عداء تجاه الدين والمعتقدات . مثلما نرى في قصائد الشاعر أدونيس السوري، وكان كتابه "الثابت والمتحول" يمثل عقليته الغربية حتى قيل فيه

إنه غير اسمه على أحمد سعيد إلى أدونيس إرضاء للغرب وطمعا في التكريمات والتقديرات منهم. والروائي نجيب محفوظ الذي أصبح أشهر من قفا نبک، والذي امتدت رحلته مع الكتابة ٧٠ عاما، صار هو الآخر في قفص الاتهام بولوعه وشغفه بالعقلية الغربية والتأثر بها. وقد تأثر في الوقت الواحد بالأفكار الغربية والعربية والمصرية والفرعونية والاشتراكية والماركسية، وهو على الرغم من فضله في إنشاء فن الرواية العربية الحديثة وأخذ زمامها سديدة محكمة إلى الأمام، ورغم أنه استلهم الأساليب والأشكال من وعيه الذاتي، إلا أنه راح يطعن في الدين ورموزه المقدسة، ونال كثيرا من الشخصيات الكرام الذين يزدان بهم تاريخ البشرية، وداس القيم والأخلاقيات تقربا إلى الغرب، ولعله كان يقصد بذلک إصلاح عيوب المجتمع ولكن حدث بالعكس، ونراه يعتقد أن تعليم الدين لم تعد قادرة على الإصلاح والتغيير، وإن العلوم الحديثة هي الوحيدة تضمن للعالم المتحضر الإصلاح والتقدم.

وبالتأثير الغربي، كذلک، اهتدى الكثير من الأديبات العربيات إلى الإبداع، وشهد العالم حضورهن الفعلي في الإبداع الروائي والقصصي، وهؤلاء يتناولن كثيرا قضايا المرأة العربية المعاصرة ومعاناتها الفردية والاجتماعية. كما أن أعمالهن تجسد الرؤية الأنثوية تجاه القضايا الكونية والعالمية والأسروية. بل وأكثر من ذلک تحمسن في التعبير عن القضايا والمشاكل الأنثوية التي لا يجهر بها الأدباء الرجال. وفي طليعة هؤلاء: غادة السمان وطلعة الرفاعي، وليبية هاشم من لبنان ووفية خيري واعتدال عثمان من مصر، ونور آل سعيد وحصة الجابر من قطر، وحنانة بنونة من المغرب، وزهور رويش من الجزائر وزينب الكردي من السودان وثريا البقعصي وسعاد الصباح وليلى العثمان ومنى الشافعي من الكويت، ورجاء العالم من المملكة العربية السعودية وفوزية رشيد من البحرين وعفاف عبد الله من العراق، ويجدر الإشارة من بينهن إلى شخصية عائشة عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ، التي توجهت بأعمالها الأدبية نحو قادم أفضل فيما يتعلق بقضايا المرأة مستلهمة العبر والقيم من سيرة الأسلاف الأمجاد.

***

وفيات

رحيل رئيس الجامعة السلفية

الدكتور جاويد أعظم بن عبد العظيم رحمه الله

أصيبت أسرة الجامعة السلفية بنارس بفقد أحد أعلامها البارزين، وهو الدكتور جاويد أعظم بن عبد العظيم البنارسي، رحمه الله، رئيس الجامعة وأحد خدامها المخلصين، وقد وافته المنية صباح يوم الجمعة: ٢٧/١/١٤٣٣هـ = ٢٣/١٢/٢٠١١م إثر نوبة قلبية. فإنا لله وإنا إليه راجعون.

كان الفقيد ينتمي إلى أسرة سلفية شهيرة في بنارس عرفت بخدمتها للدين والعلم، ولد في عام ١٩٥٠م، وتلقى العلوم الابتدائية والثانوية في الجامعة الرحمانية الواقعة في حي مدن فوره بنارس قرب بيته، ثم انتقل إلى الجامعة السلفية، ودرس في مرحلتي العالمية والفضيلة. وبعد ذلك التحق بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في كلية الدعوة والدراسات الإسلامية، وبعد الحصول على شهادة البكالوريوس انتقل إلى جامعة أم القرى بمكة المكرمة لإكمال الماجستير والدكتوراه. وقد تم له ذلك ولله الحمد.

وبعد هذه الرحلة الدراسية الطويلة انخرط الفقيد في سلك التدريس، وذلك بكلية البنات بالدمام حيث تم تعيينه كأستاذ مساعد في هذه الكلية، والتي أصبحت تابعة لجامعة الملك فيصل بعد تأسيسها. وقد استمر في هذه الوظيفة لنحو ١٦ سنة، ثم رجع إلى موطنه، وحط رحله هناك، وذلك في عام ٢٠٠٩م.

كان له دور كبير في التعريف بالجامعة السلفية في المملكة العربية السعودية خاصة وفي دول الخليج العربي عامة، وكان يقوم بدور مندوب الجامعة لهذه البلاد، وكان عضو مجلس الجامعة، كان يحضر اجتماعات المجلس باهتمام وانتظام، ويتعاون مع المسؤولين، ويبذل ما في وسعه لهذه المؤسسة التعليمية والدعوية المركزية.

ولما توفي الدكتور مقتدى حسن الأزهري – رحمه الله – الرئيس الأسبق للجامعة السلفية في ذي القعدة عام ١٤٣٠هـ وجد أعضاء الجامعة شخصية الدكتور جاويد أعظم تسد الفراغ الناشيء من رحيل الدكتور الأزهري. فانتخبوه رئيسا للجامعة في اجتماع المجلس

الإداري المنعقد في ذي القعدة عام ١٤٣١ هـ = أكتوبر ٢٠١٠ م. وبعد تحمل هذه المسؤولية الكبيرة ضاعف الفقيد جهوده ومساعيه للجامعة، ويسعى قدر جهده للرقي بهذه الجامعة إلى نحو أفضل في مجالات التعليم والتربية والدعوة. وقد بدأ بتدريس كتاب الموطأ للإمام مالك لطلاب السنة الأولى للفضيلة من أول عام دراسي ٣٢–١٤٣١هـ كما درسه في هذا العام (٣٣–١٤٣٢هـ) أيضا في الفصل الدراسي الأول الذي اكتمل قبل نحو أسبوعين، والطلاب يختبرون فيه حاليا، وقد قام الدكتور بإعداد الأسئلة للاختبار، ولما تم اختبار الطلاب في كتابه أخذ كراسات الإجابة إلى بيته، وبدأ يصححها، ولم ينته من تصحيح نحو (١٠) كراسات حتى عاجلته المنية.

كان رحمه الله مصابا بمرض السكر منذ نحو عقدين من الزمن، إلى جانب بعض الأمراض الأخرى، وكان يتناول العلاج بانتظام واهتمام، ولكن:

وإذا المنية أنشبت أظفارها   ألفيت كل تميمة لا تنفع

بدأت اختبارات نصف السنة بالجامعة من يوم السبت: ٢١/١/١٤٣٣هـ = ١٧/١٢/٢٠١١م، وكان الفقيد يتفضل بالحضور في الجامعة يوميا، ويتفقد الأحوال، ويجلس في كل قاعة من قاعات الاختبار مرة بعد مرة، ويلطف بالأساتذة المراقبين، ويشكرهم، ويشجعهم على المصابرة والصمود، وبعد نهاية وقت الاختبار في الساعة (١١:٣٠) يجلس مع عدد من الأساتذة والمسؤولين ويتبادل معهم الآراء، حول الأمور التعليمية والدعوية. وقبل الوفاة بيوم أي في يوم الخميس ٢٦/١/١٤٣٣هـ تفضل بالحضور كالعادة في الساعة التاسعة تقريبا، وجلس في إحدى صالات الاختبار إلى نهاية الوقت، ثم خرج وجلس مع بعض المدرسين يتحدث معهم، وغادر الجامعة قبيل صلاة الظهر، وقضى يومه كالعادة. وفي الليل في الساعة الواحدة تقريبا بدأ يشعر ببعض التغير في التنفس، وقبيل صلاة الفجر أصبح يشعر الألم في قلبه، الذي صار يزداد حتى لفظ أنفاسه الأخيرة في الساعة السادسة تقريبا، إنا لله وإنا إليه راجعون.

وعم الحزن أهالي مدينة بنارس وأسرة الجامعة السلفية وجميع محبيه في الداخل والخارج، فعزى بعضهم بعضا، ودعوا للفقيد بالمغفرة والرحمة والرضوان والجنة، وحضر حشد كبير لتشييع جنازته والصلاة عليه من مختلف مدن الهند وقراها. وقد صلى عليه بعد صلاة المغرب في شارع حي مدن فوره فضيلة الشيخ عبد الله سعود بن عبد الوحيد، الأمين العام للجامعة السلفية. وتم دفنه بمقبرة أسرته قرب بيته، رحمه الله.

وكان رحمه الله خليقا ودودا، تعلو محياه الابتسامة الدائمة، وكان دائم التفقد لذوي الحاجة ويساعدهم ويشفع لهم إلى المحسنين، وكان يسعى دائما لتحسين خدمات مستشفى "جنتا" الواقعة في حي مدن فوره، وتوفير العلاج المجاني للمرضى المحتاجين، وقد تم انتخابه رئيسا لمجلس المستشفى قبل عام واحد.

كما كان رحمه الله يهتم ببناء المساجد وإصلاحها، ورغم صحته المتدهورة كان يسافر مع القائمين على بناء المساجد إلى أهل الخير والمحسنين لجمع التبرعات، وكان دائم الاتصال معهم ويتابع أحوال البناء واحتياجاته.

كان محبا للعلم وأهله، وكان يقدر مدرسي الجامعة وموظفيها حق قدرهم، يجلس إليهم، ويستمع إلى مسائلهم ومشاكلهم، ويحاول تسهيل أمورهم وتحقيق مطالبهم، وكان دائم التفقد لأحوال الطلبة، وينصح المعنيين بالسكن والطعام بالإحسان إليهم في المأكل والمسكن.

وقد خلف رحمه الله أرملة وابنا وبنات، كما خلف عددا كبيرا من التلاميذ والتلميذات، ومما ذكره صاحب "جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة" من إنتاجه العلمي ما يلي:

١–التدليس والمدلسون (بحث)

٢–تحقيق المقنع في علوم الحديث لابن الملقن (رسالة الماجستير)

٣–تحقيق كتاب الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان لابن بلبان

٤–تحقيق كتاب التوضيح الأبهر في شرح التذكرة في الأثر لابن الملقن السخاوي

٥–تحقيق بعض أجزاء مشكل الآثار للطحاوي (رسالة الدكتوراه)

تقبل الله جهوده وجعلها في ميزان حسناته، وغفر له زلاته، وأمطر عليه شآبيب رحمته، وأفسح له في قبره، وأدخله جنات الفردوس، وعوض عنه خيرا، وألهم أهله وذويه وجميع المصابين الصبر والسلوان.

(أسعد أعظمي)

***

وفيات

رحيل الشيخ عبد الحكيم مجاز الأعظمي رحمه الله

بعد نحو (٢٤) ساعة من رحيل الدكتور جاويد أعظم فوجئنا بسماع نبأ وفاة العلامة الشيخ عبد الحكيم مجاز الأعظمي من كبار علماء مدينة مئو نات بنجن. والشيخ قد عمر نحو ٨٧ سنة، وكان من خريجي مدرسة دار الحديث الرحمانية الشهيرة، كان في آخر دفعة تخرجت من هذه المدرسة، ثم تم إغلاقها إثر حوادث ما بعد استقلال الهند.

كان –رحمه الله– أديبا قادرا وشاعرا بارزا وصحفيا ماهرا ومؤلفا كبيرا ومعلما ناجحا، عمل في تحرير مجلات أردية عديدة مثل مجلة "أهل الحديث" دهلي، وجريدة "ترجمان" الناطقة باسم جمعية أهل الحديث المركزية دهلي، وصحيفة "دعوت" دهلي، ومجلة "أفكار عاليه" مئو، ومجلة "آثار" مئو، ومقالاته وبحوثه المنشورة في هذه المجلات والصحف ذات أهمية بالغة في الموضوعات العلمية والدعوية والتاريخية والأدبية. كما خلف رحمه الله آثارا علمية باللغة الأردية، منها: (١) روحاني عورت (٢) آثار نبوت (٣) أبوبكر صديق (٤) عمر فاروق (٥) روح نماز (٦) هدايت نامه مسلمان بيوي (٧) هدايت نامه مسلمان خاوند (٨) اسلامي زندگی.

قضى نحو عقدين من حياته العملية في عاصمة البلاد دلهي في عمل الصحافة والتأليف. ثم حط رحله في مدينة مئو مسقط رأسه. وبدأ يعمل في الجامعة العالية العربية كمدير الإدارة، إلى جانب عمل التدريس، ولم يزل في هذا العمل إلى أن أقعده الظروف الصحية في آخر العمر، وقد تشرف هذا العاجز بالتتلمذ عليه والاستفادة من معارفه وخبراته أيام الدراسة بالجامعة العالية وبعدها أيضا.

قضى رحمه الله حياة حافلة بالبذل والعطاء، وخلف آثارا علمية كبيرة، وتلاميذ أيضا بعدد كبير، ورثاءنا في أعماله وتلاميذه. توفي في صبيحة يوم السبت ٢٨/١/١٤٣٣هـ=٢٤/١٢/٢٠١١م وصلى عليه بعد العصر من ذلك اليوم فضيلة الشيخ أبو القاسم عبد العظيم حفظه الله في جمع كبير من أهالي مدينة مئو ومندوبي المدارس والجامعات من مدن أخرى، بما فيها عدد من مدرسي الجامعة السلفية وموظفيها.

رحم الله الفقيد، وأجزل مثوبته، وغفر ذنبه، وأفسح له في قبره، وأدخله جنات فردوسه، وألهم أهله وذويه الصبر والسلوان، إنه سميع قريب مجيب. (الأعظمي)